

الباب الأول  
الدراسات الشخصية  
فى  
الدول المتحضرة

obbeikandi.com

الفصل الأول

مراكز ومعاهد الفولكلور في  
فرنسا وإنجلترا وأيرلندا ورومانيا

obeikandi.com

اختلفت الظروف التي تطلبت العناية بالتراث الشعبي في أوروبا في كل بلد عن الآخر؛ ففي ألمانيا اهتم المثقفون في القرن الثامن عشر - وفي مقدمتهم الأخوان «جرم» اللذان اهتموا بجمع التراث الشعبي الألماني الأصلي بعد أن خشياً من أن تؤدي موجة الإمبريالية إلى تغيير معالم الشعب الألماني وخصائصه. ومن ثم فقد بدأ الأخوان جرم بجمع مادة تراث الشعب الألماني، الذي ينتمي إلى عصر ما قبل انتشار المسيحية. ذلك أنهما كانا يعدان الدين المسيحي حلقة من حلقات تراثهم الحضاري؛ فالتراث الذي عاش قبل المسيحية جرمانى أصيل، وهنا كانت نقطة الانطلاق التي دفعت المثقفين في ألمانيا إلى العناية بالتراث الشعبي، وإلى تحديده وتعريفه.

وفي فنلندا بدأ الوعي بالتراث الشعبي في ظروف تاريخية خاصة. فقد خضعت فنلندا للحكم السويدي حقبة زمنية طويلة. وقد شاعت السويد أن تقضى على معالم الشعب الفنلندي بأن شرعت في إحراق كل تراثه. على أن التراث الشعبي الفنلندي لم يكن يعيش على صفحات الورق وبين ثنايا الكتب فحسب، بل كان يعيش بصفة أساسية في صدور أبناء الشعب الفنلندي. وفي عام ١٨٠٩ تخلصت فنلندا من الاحتلال السويدي لتعاني فترة احتلال آخر من قبل روسيا. وإن تكن قد احتفظت باستقلالها الداخلي وعندئذ بدأ الشعب الفنلندي يعمل على استرداد شخصيته عن طريق إحياء لغته وإحياء تراثه. وفي عام ١٨٣٥ قدم «الياس لونروط» للشعب الفنلندي ملحمة الخالدة «كاليفالا». وتحكى المراجع عن الظروف التي هيأها لونروط لنفسه حتى يتمثل الروح الجماعي في تأليف هذه الملحمة؛ فقد ظل يطوف أنحاء فنلندا ويعيش مع أفراد الشعب الذين يحفظون تراثهم البطولي حفظاً متقناً، حتى استطاع أن يجمع الشعر البطولي الفنلندي والشعر الغنائي وأغاني المهد وأغاني الأفراح، وأن يؤلف بين كل ذلك في شكل فني محدد. وكانت ثمرة عمله بل ثمرة الجمع بين أشنات الشعر الشعبي الفنلندي هي ملحمة كاليفالا التي ما تزال تتناولها الأبحاث في وفرة حتى الآن. وكان الشعب الفنلندي وجد ضالته النفسية بظهور ملحمة كاليفالا، وأدرك حينئذ أن لغته ليست فقيرة كما أوهمه الاستعمار السويدي، بل هي لغة غنية بالتعبير. كما أدرك الشعب الفنلندي أن له كيانه وشخصية مميزة. ومنذ ذلك الحين بدأ الفنلنديون في جمع التراث وتنظيمه ودراسته باهتمام بالغ ويعمق بعيد المدى، إلى درجة أن أصبحت فنلندا اليوم - باعتراف الباحثين - المكان الذي يجب أن يحج إليه كل مهتم بدراسة التراث الشعبي.

وفي فرنسا ارتبطت الدراسات الأثنولوجية - التي يجعلها الباحثون الفرنسيون في مقدمة الدراسات الشعبية - بالاستعمار الفرنسي، فاستعمار الفرنسيين لبعض دول أفريقيا بصفة خاصة، دفعهم إلى دراسة أحوال الشعوب الأفريقية. ولهذا فإن دراسة فولكلور إفريقيا البيضاء وإفريقيا السوداء على حد تعبيرهم يشغل حيزا كبيرا في دراستهم حتى اليوم. ثم أدرك الباحثون في فرنسا أن اهتمام فرنسا بالفولكلور الأجنبي يفوق اهتمامها بالفولكلور الفرنسي نفسه. ولهذا فقد زاد الاهتمام منذ سنوات بإنشاء مركز خاص بجمع الفولكلور الفرنسي وحده وتنظيمه.

وليست هذه سوى أمثلة تطلعنا على الظروف المختلفة التي نشطت في ظلها الدراسات الشعبية في أوروبا. ومن ثم فإن شكل نظام الدراسات الشعبية يختلف من بلد إلى آخر في كثير أو قليل. ومع ذلك، فإن الدراسات الشعبية في أوروبا تتفق بعامة في تحديدها لمفهوم التراث الشعبي، وفي الخطوط الأساسية لأساليب دراسته، وفي الأهداف التي تسعى إليها هذه الدراسة، بل إنها تتفق في مناهج البحث.

وقد ساعد على ذلك عاملان: أولهما، المؤتمرات التي تنعقد تباعا في كل دول أوروبا الشرقية والغربية حيث يجتمع الباحثون الفولكلوريون من شتى أنحاء أوروبا وآسيا لتبادل وجهات النظر. وثانيهما، إتاحة الفرص للباحثين من جميع البلاد للتعبير عن وجهات نظرهم في مجالات التراث الشعبي التي تصدر في وفرة بالغة في كل أنحاء أوروبا.

وتكاد تتشابه الظروف التي دفعتنا إلى الاهتمام بتراثنا الشعبي العربي مع الظروف التي عاشتها بعض البلاد التي أشرنا إليها، وتلك التي سنشير إليها فيما بعد. ومن ثم فقد رأى المختصون ضرورة إنشاء مراكز للفنون الشعبية تتلخص مهمتها الأساسية في جميع التراث الشعبي بأشكاله كافة جمعا علميا وفق تخطيط دقيق، وفي تنظيم التراث وتصنيفه بحيث تصبح مادته في متناول أيدي الباحثين، لا في البلاد العربية وحدها بل في جميع أنحاء العالم. وإذا كان مقدرا لمراكز الفنون الشعبية أن تؤدي رسالتها خير أداء فعليها دائما أن تقوم بمهمتها على أساسين:

أساس محلي يتحدد بطبيعة المادة الشعبية الخاصة بنا وبظروفنا التاريخية والاجتماعية،  
وأساس عالمي يحتم علينا أن نكون دائماً على اتصال بمراكز ومعاهد الدراسات الشعبية في  
الخارج، وأن نسعى إلى تطوير عملنا والنمو به حتى ندخل في مضمار التنافس معها.

حقاً إننى لا أبالغ إذا قلت إنه مضمار تنافس وسباق؛ فلقد كنت من قبل أتصور تطور  
هذه الدراسات في البلاد الأوربية على نحو ما، ولكن تبين لى، بعدما رأيت سمعت وقرأت - أن  
هذا التصور كان قاصراً. ولنبدأ الآن بوصف موجز لمراكز الفولكلور التي زرتها في كل من  
فرنسا وانجلترا وَايرلنده الجنوبية ورومانيا.

ففي فرنسا تتركز الدراسات الأثنولوجية - التي يفوق اهتمام الفرنسيين بها اهتمام أى  
دولة أوربية أخرى - تتركز في متحف الإنسان Musée de L homme الذى يقع بين ميدان  
«تروكاديرو» من ناحية، ونهر السين وبرج إيفل من ناحية أخرى. ويحتل المتحف الأثنولوجى  
الضخم الذى تعرض به نماذج إثنولوجية لكل دول العالم، جناحاً من المبنى. أما الجناح الآخر  
فيحتوى على كل ما يخص الدراسة والدارسين، فهو يحتوى على مكتبة غنية بكتبها وأبحاثها  
ودورياتها التي تصدر في جميع أنحاء العالم، كما توجد في الطابق السفلى منه أقسام جمع  
المادة وتنظيمها وتصنيفها، فقسم يختص بالدراسات الإثنولوجية في أفريقيا البيضاء وقسم  
يختص بإفريقيا السوداء وقسم يختص بأوروبا. والموظفون الذين يتولون الإشراف على هذه  
الأقسام قد تخصصوا في الدراسات الإثنولوجية. وهم فضلا عن قيامهم بعملية الإشراف،  
مكلفون بالقيام ببعض الأبحاث كل في مجال تخصصه.

وبطبيعة الحال يغلب الاتجاه الإثنولوجى على معظم هذه الأبحاث. هذا وتوجد بهذا  
الجناح قاعة كبيرة لعرض الأفلام الفولكلورية والأثنولوجية لجميع شعوب العالم.

ويمكننا أن نقول إن المتحف بهذه الصورة أشبه ما يكون بمعهد مكتمل يتولى الإشراف  
على الدراسات الإثنولوجية في شتى جوانبها.

ومنذ سنوات أنشئ مركز للدراسات الإثنولوجية والفولكلورية مختصاً بفرنسا وحدها.  
وأطلق على هذه المبنى (متحف الفن والتراث الشعبى الفرنسى).

ويعد المتحف وفقاً لخطته المدروسة ثمرة دراسات واسعة وثمره جهود المختصين فى هذا الميدان. فقد روعى فى تنظيمه أن تعرض الحضارة الفرنسية من خلال تراثها الاثنولوجى والفولكلورى. ولما كانت حضارة أى شعب من الشعوب حصيلة نشاطه المادى والروحى فى المكان الذى يعيش فيه، فقد روعى أن ينقسم المتحف إلى الأقسام الآتية:

**القسم الأول:** المجتمع الفرنسى فى التاريخ. وقد حدد هذا التاريخ ابتداء من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين - هذا إلى جانب تقديم نماذج للغة فى تلك الأزمنة.

**القسم الثانى:** التكنولوجيا؛ وفيه تعرض نماذج للألات التى تستخدم فى صنع الخمر والخبز وفى الحصاد وصيد السمك وصيد الحيوان وتربية النحل وتربية الخيول والرعى والنسيج والتجارة والحدادة ووسائل النقل وبناء المنازل. على أن نماذج الآلات التى تعرض فى هذا القسم لا تقصد فى حد ذاتها فحسب، بل تعرض فى إطار الصور العملية للحياة التى عاشها الفرنسيون ومازالوا يعيشونها فى أثناء ممارستهم لهذه الأعمال.

**القسم الثالث:** العادات والتقاليد: ويشتمل الاحتفالات الخاصة بالتقاويم ثم الاحتفالات الدينية الخاصة بالقسيسين والزواج كما يحتوى على الميثولوجيا الشعبية.

**القسم الرابع:** ويحتوى على الممارسات الشعبية والطب الشعبى والسحر.

**القسم الخامس:** ويختص بالمجتمعات الشعبية وهى المجتمع القروى والمجتمع العمالى وسكان الجبل.

**القسم السادس:** ويحتوى على أشكال الإبداع الشعبى وهى الألعاب الشعبية، والسيرك، والمسرح الشعبى، والرقص الشعبى، والأدب الشعبى فى عصر التصنيع، والموسيقى الشعبية، والفن الشعبى.

وقد روعى فى تنظيم المتحف على هذا النحو. التزاماً بدقة العمل، أن يشرف على كل فرع من فروع هذه الدراسة باحث متخصص يتولى عملية الجمع والتنظيم والدراسة. فالألعاب الشعبية على سبيل المثال يشرف عليها متخصص، والمسرح الشعبى متخصص آخر، والرقص الشعبى متخصص ثالث وهكذا.

أما طريقة العرض فى هذه الأقسام، فتكون عن طريق عرض النماذج الإثنولوجية مرفقة بالنصوص الأدبية التى يضمها الأرشيف بعد تنظيمها وتصنيفها. وبهذا يتمكن الدارس من الربط التام بين المادة والنص، أو بعبارة أخرى يتمكن من تمثّل الحياة الشعبية بجانبها المادى والروحى..

ولا تقتصر الدراسات الفولكلورية على عاصمة فرنسا، بل هناك نشاط شعبى ملموس فى الأقاليم. وقد راعى وعى الشعب الفرنسى بترائه فى بعض الأقاليم. ففى مدينة «ليموج» التقيت مع السيد «لويس بونارد» الموظف ببلدية المدينة، وعلى الرغم من أن وظيفة «بونارد» لا تتصل اتصالاً مباشراً بالدراسات الشعبية، فإن الدراسات الشعبية تعد هويته. وقد ألف كثيراً من الكتيبات حول الفولكلور الفرنسى<sup>(١)</sup>. كما أنه اتصل بكثير من المدرسين بصفة خاصة الذين يعملون فى القرى وكون منهم جماعة للفولكلور تبنى نشاطاً بالغاً فى المحافظة على التراث. وقد قدم إلى بالفعل زوجين يعملان بالتدريس ويتقنان الرقص الشعبى وقد كونا من بين أفراد الشعب فرقة شعبية تحيي الرقص الشعبى نون تحوير فيه.

وكذلك أتحت لى فرصة مشاهدة بعض الاحتفالات الشعبية مع المختصين. وقد كانت مناسبة شعبية يحتفل بها مرة كل سبع سنوات. ومن حسن حظى أن وجودى فى فرنسا اتفق مع هذا التوقيت. ففى بلدة «سنت ماريادى لامير» يفد الفجر من كل أنحاء أوربا ليحيوا طقوس مناسبة دينية عاشت فى أساطيرهم الدينية وما تزال تعيش فى نفوسهم حتى اليوم. ففى هذا المكان الذى يقع على شاطئ البحر المتوسط استقرت القديسة ماريا - كما تقول الأسطورة - فى أثناء رحلتها من فلسطين إلى بعض الأماكن المقدسة. وتوفيت القديسة فى هذا المكان حيث شيدت كنيسة تضم رفاتها. وسبب احتفال الفجر وحدهم بهذه المناسبة هو أن القديسة ماريا كانت تعمل خادمة لدى بعض نبلاء فلسطين. ويهمنى أن أشير فى هذا المجال إلى الطريقة التى تسهم بها الجهات الرسمية مع الشعب فى هذه الاحتفالات الشعبية. فقد اتخذ إحياء تلك الطقوس شكلاً رسمياً وشعبياً منسقاً ليعرف الفوضى، فى الوقت الذى

Louis Bonnard:

(١)

1 - Traditions Populaires-Limoges 1960.

2 - Folklore Limosine télévisé (Folklore N. 82. 1965).

3 - Folklore en Espagne (Folklore N. 87. 1964).

روعيت فيه حرية الشعب فى إحياء طقوسه. وقد كان على المختصين الفولكلوريين فى هذه المناسبة رصد مظاهر الاحتفال كما يحدث فى الواقع، بقصد دراسة مدى ما يعترى الاحتفال من تغيير كل سبع سنوات.

## انجلترا:

والعمل يسير فى انجلترا فى هذا المجال على نحو آخر. وتكاد تكون فرنسا البلد الأوروبى الوحيد الذى يحاول أن يربط بين علم الاثنولوجيا وعلم الفولكلور ربطاً تاماً على النحو الذى أشرنا إليه. أما سائر دول أوروبا فتتصل بين المادة الفولكلورية التى مكانها المركز أو المعهد، والمادة الاثنولوجية ومكانها المتحف. ومع ذلك فإن الدراسات الاثنولوجية والفولكلورية فى كل بلاد أوروبا تتجه - كما سبق أن ذكرنا - إلى هدف واحد وهو المحافظة على التراث الشعبى والعمل على إحيائه قدر الإمكان ثم الاعتماد عليه بوصفه كلاً فى دراسة أحوال الشعوب من الناحيتين الاجتماعية والنفسية عبر التاريخ.

وتتوزع الدراسات الشعبية فى إنجلترا فى مدرسة الدراسات الاسكتلندية التابعة لجامعة أدنبرة وفى مدرسة الدراسات الانجليزية التابعة لجامعة ليدز ثم فى متحف كارديف فى ويلز، وفى المتحف الوطنى فى إيرلندا الشمالية.

ففى أدنبرة أنشئ معهد نموذجى فى عام ١٩٥١. وعلى الرغم من أن الأعضاء الذين يعملون بهذا المركز لا يتجاوزون الاثنى عشر فإن العمل يدور فى هذا المركز فى هدوء وعمق ونشاط بالغ. ويرجع ذلك إلى التخطيط العلمى الذى يتبعه المركز منذ نشأته: فقد وزعت الاختصاصات فيه توزيعاً محدداً بحيث لا يتداخل بعضها فى بعض فيعطل هذا من سير الأمور فيه. فالموسيقى الشعبى يشرف عليها ثلاثة من المختصين الذين تخصصوا فى دراسة الموسيقى بوجه عام وفى الموسيقى الشعبى بوجه خاص. وكل منهم مسؤول عن جمع التراث الموسيقى وتصنيفه فى منطقة معينة. كما يشرف على أسماء الأمكنة باحثان. وبالمثل يشرف على جمع الأغنية الاسكتلندية والأغنية الغالية والحكايات الشعبى والتقاليد والعادات والمادة الحضارية والتنظيمات الاجتماعية متخصص ومساعد له.

ويستقل كل باحث مع أجهزته بمكان في المعهد يقوم فيه بأبحاثه وينظم أرشيفه. وقد جهز المعهد بمكتبة كبيرة وبمعمل معد بأحدث الآلات ثم بأرشيف جامع للمواد كلها يشرف عليه متخصص في عمل الأرشيف. أما الشرائط المسجلة فيحتفظ بها بعد تفريغها كتابة في مكان خاص بها.

هذا وقد قرر المعهد ألا تبدأ به الدراسة المنتظمة فيه إلا بعد استكمال المادة جمعاً وتصنيفاً. ومع ذلك فهو يقدم الحاضرات القيمة بين الحين والآخر، كما يقوم بنشر الأبحاث وإصدار مجلة «دراسات اسكتلندية» في شهرى أبريل وأكتوبر من كل عام.

أما في جامعة ليدز. فقد اتسع نطاق الدراسات الشعبية بها بحيث أصبحت تتجه اتجاهاً علمياً أكثر منه في جامعة أدنبرة. ففي مدرسة الدراسات الانجليزية التي تعد قسماً من كلية الآداب، يدرس الفولكلور بشكل واسع وعميق. وتستغرق الدراسة في هذا القسم ثلاث سنوات. وفي وسع الطالب أن يختار في السنتين الثانية والثالثة دراسة الفولكلور إلى جانب دراسة المواد الأخرى. وفي السنة الثانية تدرس المواد الفولكلورية الآتية:

التراث الشفوي. التراث المادى. التقاليد والمعتقدات الشعبية. الآلات التكنولوجية التي تستخدم في العمل الميدانى. الحكايات الشعبية. نظرياتها. طريقة روايتها وجمعها وتصنيفها. الأغنية الشعبية والبالاد. والأمثلة الشعبية والأغنان.

أما في السنة الثالثة فالدراسة تشتمل على المواد الآتية:

التقاليد والعادات، التقويم والعادات المرتبطة به، البالاد. الآلات الموسيقية الشعبية. الفولكلور وعلم الاثنولوجيا.

وإذا اختار الطالب الدراسة الشعبية ضمن مواد دراسته، فعليه أن يقوم بعمل ميدانى يمتحن فيه. وتمتد الدراسة الفولكلورية بعد ذلك بحيث يتمكن الطالب من الحصول على الدبلوم الذى يستغرق عاماً واحداً يؤهله لدراسة الماجستير ثم الدكتوراه. وفي السنة المختصة للحصول على الدبلوم يدرس الطالب المواد الآتية: العمل الميدانى والآلات التى تستخدم فيه. تسجيل التراث الشعبى. حفظ التراث الشعبى. تصنيف التراث الشعبى. الأرشيف. نشر التراث الشعبى. المتاحف وطريقة عرض المادة بها.

على أن مدرسة الدراسات الإنجليزية «بجامعة ليدز» لا تقتصر على تدريس المواد الفولكلورية على هذا النحو الشامل العميق فحسب، بل تضم الدراسة أرشيفاً للمواد الفولكلورية التي جمعها الباحثون ترتب فيه المادة وفقاً لنظام أوبسالا في السويد. وفضلاً عن ذلك فإنها تشرف على عمل الأطلس اللغوي الذي يهدف، عن طريق التوزيع الجغرافي للغة الحديث اليومية، إلى الكشف عن أهم خصائص لغة الحديث في ضوء الاختبار الصوتي والمورفولوجي والتركيبي. ويسير العمل في هذا المجال في عدة مراحل. أولاً: تأليف الأسئلة التي تكشف عن الملامح المعجمية والصوتية والمورفولوجية والتركيبية للهجات الأساسية في اللغة الإنجليزية. ثانياً: اختبار هذه الأسئلة وطبعتها بعد الاطمئنان إلى نجاح مهمتها. ثالثاً: البحث عن الكفاءات الشعبية في الأقاليم التي تعد منبعاً لاستقاء المادة. رابعاً: تدريب الجامعيين على استخدام الأسئلة. خامساً: نشر نتائج العمل كله في شكل خرائط أو أبحاث مكتملة.

أما في ويلز وإيرلندا الشمالية، فتركز الدراسات الشعبية في متحف كارديف في ويلز وفي المتحف الوطني في إيرلندا. ولا تعرض المادة الأثنولوجية إلى جانب المادة الفولكلورية كما هو الحال في متحف باريس، بل ينقسم كل متحف من هذين المتحفين إلى قسمين: قسم لعرض المادة الأثنولوجية وقسم آخر منفصل عنه يضم المادة الفولكلورية.

وأما في جامعة لندن فليس هناك قسم للدراسات الشعبية، بل يوجد بالمدينة أرشيف كبير للموسيقى والأغاني الشعبية وتشرف عليه جماعة الفولكلور البريطانية. وإذا كانت جماعة الفولكلور البريطانية لا تؤدي دورها في نشاط بالغ كما هو الحال في ألمانيا وفنلندا، فهي على كل حال مواظبة على اجتماعاتها الدورية التي تلقى فيها المحاضرات المهمة، كما أنها تفتح أبوابها لكل متخصص وماو يبدى نشاطاً في هذا المجال بشكل أو بآخر.

## إيرلنده الجنوبية:

تتميز إيرلنده الجنوبية بثراء تراثها الشعبي الذي مازال يعيش حتى اليوم حياً، بل ومازال بعضه يعيش بلغته الأصلية الغالية. وعلى الرغم من أن إيرلنده لم تبدأ في جمع التراث

الشعبي في زمن مبكر كما حدث في ألمانيا وفرنلندا - إذ أنها لم تفعل ذلك إلا بعد أن كافحت الاستعمار البريطاني لفترة طويلة - فإنها مع ذلك قد بدأت بنشاط بالغ بحيث حققت كثيراً من أهداف هذه الدراسة.

فمركز الفولكلور في مدينة (دبلن) يحتوي على أرشيف كبير منظم كما يحتوي على مكتبة كبيرة. وعلى هذا المركز يتردد الباحثون من جميع أنحاء أوروبا الذين يرغبون في دراسة الفولكلور الأيرلندي بقصد الدراسات المقارنة. وبما أن الصلة وثيقة بين الفولكلور في المملكة المتحدة وخاصة في اسكتلندا، وبين الفولكلور الأيرلندي، فإن الاتصالات العلمية تجرى في نشاط بين هذا المركز وبين مدرسة الدراسات الاسكتلندية بصفة خاصة سواء عن طريق إرسال الباحثين أو عن طريق تبادل الأبحاث العملية.

وعلى الرغم من النشاط البالغ الذي بذله مركز دبلن في الجمع والتصنيف، فإنه مازال يواصل جهوده، فالعمل الميداني لا ينتهي، لأن مادة التراث الشعبي لا بد أن تجمع بين الحين والآخر بقصد دراسة تطورها وتطور المجتمع الشعبي الذي تعيش فيه. وقد أرسلني الأستاذ الدكتور «ديلارجي» الأستاذ المشرف على المركز وهو الذي قام بتأسيسه، أرسلني إلى باحث ميداني يتولى عملية الجمع في غرب أيرلندا وفي الجزر الغربية. وقد حكى لي هذا الجامع الذي يبلغ الخمسين من عمره أنه يقوم بعملية الجمع في هذه المناطق منذ عشرين عاماً وأنه لا يزال أمامه كثير من العمل. وقد اشركني معه في جولات واسعة في الساحل الغربي فرأيتته فرداً من أفراد الشعب، فالكل يعرفه ويسعد برويته ويجلس للحديث معه في شوق بالغ. فإذا خلا لنفسه أخذ يدون المادة التي جمعها على الأشرطة ويرسلها إلى «دبلن» حيث الأساتذة الذين يتولون دراستها وتصنيفها.

والحق أن أرشيف مركز الدراسات الشعبية في مدينة «دبلن» غني للغاية. ومما استرعى نظري في هذا الأرشيف تلك المادة التي جمعها التلاميذ فوق سن الاثني عشر؛ فالمدرسون الذين ينتشرون في جميع أنحاء أيرلندا يطلبون من التلاميذ جمع الحكايات الشعبية والألغاز والأمثال إلى غير ذلك. فينشط التلاميذ في جمع تلك المادة من جداتهم وأجدادهم وغيرهم ويسلمونها إلى المدرس الذي يقرأها ويفحصها ويطلب منهم إعادة كتابتها منظمة مرتبة. ولم

يعمد المركز إلى هذه الطريقة لتسهيل عملية جمع مادة التراث الشعبي، فعملية الجمع يقوم بها المتخصصون قبل كل شيء، ولكن المركز يهدف إلى أن يعرف الأبناء بتراثهم الشعبي، كما أنه يهدف إلى أحياء عملية الرواية الشفوية. وربما احتوى أرشيف التلاميذ على مادة لم يهتد إليها الجامعون المتخصصون.

وليس هناك برنامج التدريس التراث الشعبي بهذا المركز ولكنه يعد مركزاً علمياً بحق. فعليه يتردد الباحثون من جميع أنحاء أوروبا بقصد الدراسات المقارنة.

وقد قدم الباحثون بهذا المركز مجموعة من الأبحاث القيمة التي تقدم للباحث الأيرلندي والأجنبي على السواء فكرة واضحة عن الفولكلور الأيرلندي. وليس في وسعنا أن نذكر الكتب التي نشرها هذا المركز، فهي كثيرة ولاشك، ولكن يكفي أن نقول إن كل جانب من جوانب التراث الشعبي قد درس في عدة كتب. هذا إلى جانب الكتب التي درست المجتمع الأيرلندي واللغة الأيرلندية. ويهمني أن أشير إلى كتاب «دليل الفولكلور الأيرلندي»<sup>(١)</sup> لكاتبه Sean O' Suilleabhain رئيس الأرشيف بمعهد «دبلن». ويقدم هذا الكتاب أسئلة العمل الميداني مرتبة وفقاً للمادة الفولكلورية والأثنولوجية المتنوعة. ولما كان هذا الموجز يتسم بالاستقصاء البالغ في جمع المادة الفولكلورية والأثنولوجية عن طريق طرح الأسئلة، فقد عد دليلاً احتذت به البلاد التي وضعت لها دليلاً لفولكلورها على هذا النحو. وقد ظهرت أول طبعة من هذا الدليل عام ١٩٤٢ وما تزال تصدر له طبعات جديدة حتى اليوم.

وليس هذا العمل الوحيد للأستاذ سيان، فقد نشر أبحاثاً قيمة في كل مجال من مجالات الفولكلور الأيرلندي على وجه التقريب، وربما سهل له هذا الأمر عمله الدائم في الأرشيف.

## روايات:

ولعل القارئ يدرك، بعد هذا العرض للدراسات الشعبية في إنجلترا وفرنسا وأيرلندا، إلى أي حد تزدهر هذه الدراسات في البلاد التي بلغت من التقدم العلمي شأواً بعيداً. ولعل هذا يدحض رأى الذين يدعون أن التراث الشعبي يموت بتأثير زحف المدنية المعاصرة وبتأثير

Sean O' Suilleabhain: AHand book of Irish Folklore, London 1963.

(١)

التطور التكنولوجى. فمما لاشك فيه أن بلادا مثل فرنسا وانجلترا وفنلندا وألمانيا - تمثل أرقى درجات التطور التكنولوجى الذى شمل جميع نواحي الحياة. ذلك أن الدراسات الشعبية لاتعنى لدى الباحثين فى هذه البلاد مجرد رصد التراث الشعبى المتوارث فحسب، بل تعنى فضلا عن ذلك دراسة الشعب فى ظروفه الراهنة وفى الإطار الحضارى الذى يعيشه اليوم. وحيثما وجدت التجمعات الشعبية فى القرية أو المدينة.

فإذا انتقلنا إلى الحديث عن الدراسات الشعبية فى البلاد الاشتراكية، وسنقصر حديثنا هنا على رومانيا، لأنها البلد الذى قمت بزيارته ورأيت فيه حرص المختصين البالغ على النهوض بهذه الدراسة، فإننا نكون بذلك قد وضعنا نصب أعين القارئ المتخصص صورة جلية لاهتمام البلاد المتطورة أو تلك التى تسعى للوصول إلى أعلى درجات التطور، بالكشف عن جوانب اهتمامات الشعب الروحية وتطوره المادى من خلال أشكال تعبيره المتنوعة. وسواء كان البلد رأسماليا أم اشتراكيا، فإن اهتمامه بهذا الفرع من الدراسات الإنسانية يحكمه عاملان: العامل الأول هو عراقة الشعب، والعامل الثانى هو ربط حاضر هذا الشعب بماضيه بقصد الكشف عن جوانب تطوره الروحى والمادى، والكشف عن احتياجاته النفسية. وإذا كانت البلاد الرأسمالية تستعين بالدراسات الشعبية فى رسم صورة جلية للشعب فى إطار الحضارة التى يعيشها اليوم، وتلك التى كان يعيشها بالأمس القريب والبعيد، وذلك بقصد إبراز شخصية الشعب المتطورة عبر التاريخ، فإن البلاد الاشتراكية تهتم إلى جانب ذلك بإبراز مدى انعكاس الإيدلوجية على الحياة الشعبية من خلال دراسة الأشكال المتطورة للتعبير الشعبى. ولا يتمثل واجب المهتمين بدراسة جوانب الحياة الشعبية فى مجرد رصد ظواهر هذه الحياة فحسب، بل إن واجبهم يتعدى ذلك إلى تشجيع النشاط الشعبى فى شتى جوانبه الإبداعية. وفى الوقت الذى يحرص فيه الباحثون الفولكلوريون على الربط الوثيق بين مجتمع القرية والمدينة، وذلك بتقديم أشكال التعبير الشعبى من فنون تشكيلية ورقص وموسيقى وغناء شعبى إلى مجتمع المدينة، فإنهم يحرصون فى الوقت نفسه على توصيل معارف المدينة إلى القرية عن طريق الندوات والدراسات المنظمة.

وتقوم بيوت الثقافة فى القرى متعاونة مع مراكز رعاية الإبداع الشعبى بدور بالغ الأهمية فى تشجيع النشاط الشعبى والعمل على استمراره ضمنا لبقاء الشعور الشعبى القومى لدى أفراد الشعب حيا. ولقد دعيت إلى زيارة قرية «ميدجيا» التابعة لمحافظة «دوبروجيا» فى رفقة جماعة من الباحثين من معهد الفولكلور والاثنوجرافيا فى بوخارست كانوا قد كلفوا بتسجيل الرقصات الشعبىة التى تؤديها الجماعات التى تنتمى إلى أصل تترارى وتركى. ولا تقوم الرحلات الميدانية فى رومانية إلا بعد تنظيم وتنسيق كامل بين المختصين فى المعهد والمشرفين على بيوت الثقافة والابداع الشعبى فى المكان الذى يراد زيارته. وبهذا يضمن الباحثون سرعة العمل من ناحية، كما أنهم يستفيدون من خبرات هؤلاء الذين يعايشون السكان معايشة حقة من ناحية أخرى. ولقد راعى كيف أن السيدة التى تشرف على النشاط الثقافى فى هذه القرية تعرف كل كبير وصغير فيها على وجه التقريب، وتنتقل بين أفرادها لا بوصفها موظفة تشرف عليهم، بل بوصفها فردا منهم. وفى بيت الثقافة تم التجمع الشعبى بطريقة طبيعية للغاية. فلما اشتدت حماسة الأفراد وقاموا يرقصون، كان الباحثون المكلفون بتسجيل الرقصات مختفين بين جمهور الشعب، بحيث إنهم قاموا بواجبهم دون أن يشعر بوجودهم أحد. ولا يعنى هذا أنهم لم يستقصوا الحقائق التى تعنيهم من أفراد الشعب؛ فلقد قاموا بهذا العمل بعد أن فرغوا من تسجيل الرقصات. وفى اليوم نفسه حدث أن كانت القرية تحتفل بزفاف أحد أبنائها، وكان الجميع يشترك فى هذا الاحتفال بصورة أو بأخرى. ولم يكن بيت الثقافة بمنأى عن هذا الاحتفال، بل شارك فيه بأن فتح أبوابه للاحتفالات الجماعية وإقامة الوليمة التى اشترك فيها المدعوون. فلما طفت ببيوت القرية بعد ذلك وجدتها جميعاً ذات نسق شعبى متكامل ومزدانة بالزخارف والأعمال اليدوية الشعبىة الأصيلة. ولم يشذ عن ذلك بيت من البيوت سواء تلك التى يسكنها الرومانيون الذين ينتسبون إلى أصل تركى أو تترارى أو ألمانى أو تلك التى يسكنها الرومانيون الأصليون.

وتراث الشعب الرومانى غنى بمادته القديمة والحديثة. فمازال الشعب الرومانى يستقبل السنة الجديدة على نحو ما كان يفعل فى الأزمنة السالفة. وهو يغنى ويرقص ويؤدى التمثيليات على نحو ما كان يفعل أجداده. وما تزال احتفالات الزواج وشعائر الدفن ترتبط بالتراث الرومانى القديم. وما تزال تنتشر فى تراثهم الروائى الأغنيات المحلية القديمة التى تحكى عن

صراع البطل مع القوى المهولة وبطولة الخارجين على القانون الجائر، وصراع الأسر الغنية بعضها مع بعض وصراع الشعب الرومانى ضد الغزاة من الأتراك والتتار، كما تحكى عن استعباد الإقطاع للشعب، وصراع الشعب ضد هذه العبودية. وقد ساعد على بقاء هذه المادة الفولكلورية الغنية تلك الجهود التى بذلت فى خلال القرن التاسع عشر وفى أوائل القرن العشرين فى جمع تلك المادة ونشرها فى كتب.

وفى عام ١٩٣٠ أسس الأرشيف الفولكلورى فى مدينة «كلوج» وكان نشاط الباحثين فى تلك الفترة يتركز أساسا حول جمع مادة الموسيقى والرقص. ومضى الحال على هذا النحو مايقرب من عشرين عاما عندما أنشئ معهد الدراسات الفولكلورية فى عام ١٩٤٩ فى «بوخارست»، وهو يتبع أكاديمية العلوم والفنون. وقد استطاع هذا المعهد منذ ذلك التاريخ حتى اليوم أن يدعم مركزه بين معاهد ومراكز الفولكلور الأوربية الناهضة.

ولم يكن ذلك إلا بفضل التخطيط السليم لعمل المعهد، وبفضل إدارته السليمة التى تحرص دائما على الموازنة بين الانفاق والحصيلة العلمية لهذا الانفاق. ويقوم هذا المعهد بجمع ودراسة الموسيقى الشعبية والدراما الشعبية والعادات والطقوس. ثم توسعت الدراسة فى المعهد بعد ذلك فشملت دراسة حياة الناس المعاشة، بمعنى دراسة معتقداتهم الحية وسلوكهم واهتماماتهم العملية، وكذلك دراسة البيئة من ناحية بنيتها الاقتصادية والاجتماعية. وقد صنع المعهد فى خطته الفراغ من عملية الجمع والتصنيف، أى عملية استقصاء المادة الفولكلورية من الكتب والمجلات والصحف، فضلا عن جمعها الميدانى فى عام ١٩٨٥.

والمعهد إذ ينشغل بهذا العمل الجليل، يولى عنايته لما يجرى حوله فى العالم الأوربى من دراسات حديثة فى مناهج البحث وفى التصنيف. وهو يستفيد من كل ذلك ويسير بهذه الأبحاث قدماً. فالأستاذ الدكتور «ميهائى بوب» يضطلع بدراسة الحكايات الشعبية من وجهة نظر المنهج البنائى الذى يتبارى كثير من الباحثين الفولكلوريين اليوم فى أوروبا وأمريكا فى تطبيقه، وله فى ذلك أبحاث قيمة، وكذلك استفاد الأستاذ «بربولاسكو» الذى يعمل بهذا المعهد، من تصنيف آرن تومسون، ولكنه جمع بينه وبين تصنيف رومانى حديث يقوم على أساس تصنيف الحكاية من ناحية العناصر Element والفكرة Theme والحادثة Episode، وذلك

بهدف الكشف عن شكل الحكاية الشعبية الرومانية وتطور روايتها. أما في مجال الموسيقى الشعبية والرقص الشعبي فإن المعهد الروماني أصبح يضارع الجهات المعنية بهذا العمل في أوروبا، بحيث أصبح الدارسون الأوروبيون حريصين على زيارة هذا المعهد للاستفادة مما حققه الباحثون فيه من نجاح في تدوين الألحان الموسيقية والرقصات الشعبية وتصنيفها ودراستها. ويعمل في المعهد ثلاثون باحثاً اختيروا من بين أوائل خريجي كليات الدراسات اللغوية ومن الكنسرفاتوار ومعاهد الرقص، وكل هذه الجهات تدرس الفولكلور ضمن مناهجها، ويقوم هؤلاء الباحثون بعمل أبحاث ميدانية ودراسات تؤهلهم للدخول في مسابقات يحصلون بعدها على درجات علمية. ويضم المعهد فضلاً عن ذلك فنيين ورسامين ومصورين وأمناء مكتبة وأمناء أرشيف ومهندس صوت. وينقسم المعهد إلى قسمين أساسيين: قسم الفولكلور وينقسم إلى شعبة الأدب والرقص؛ ثم قسم الاثنوجرافيا الذي أنشئ عام ١٩٦٢، ويضم شعبي الثقافة الروحية، والثقافة المادية.

ولقد قمت بزيارة متحف القرية المفتوح الذي يقع في قلب بوخارست في مكان شاسع هين؛ لأن يتخذ شكل قرية جميلة متكاملة، وذلك بعد زيارتي لأمثال هذا المتحف في كل من إنجلترا وألمانيا وفنلندا. فرأيت أن المتحف الروماني يفوقهما جميعاً من حيث الاكتمال وتوزيع المادة في ذلك المكان الخلاب. وقد بدئ في عمل هذا المتحف في عام ١٩٣٠ واكتمل شكله في عام ١٩٤٨. وفي هذا المتحف تعرض نماذج من العمارة الشعبية أقيمت كما هي في الطبيعة، ورتبت فيها وسائل المعيشة بحيث تبرز وظيفتها في حياة الناس، وقد روعي في أشكال البيوت المعروضة التوزيع الجغرافي من جهة، كما روعي أن تمثل هذه البيوت المراحل التاريخية والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية المختلفة، وإلى جانب البيوت توجد نماذج من الكنائس والطواحين ومعاصر الزيوت إلى غير ذلك مما يرتبط بحياة الناس الروحية والمادية.

إن برنامج دراسة الشعب الروماني على هذا النحو الشامل العميق إنما هو جزء لا يتجزأ من البرنامج الاشتراكي الذي تسعى النول الاشتراكية إلى تحقيقه على أكمل وجه، وهذا أمر طبيعي، فما دامت هذه النول تهتم بالشعب أولاً والنهوض به فكرياً ومادياً، فإن الدراسات الشعبية تحتل مكان الصدارة بين اهتماماتها. ولكنها إذ تفعل ذلك لا تبغى من وراءه الدعاية،

بل تهدف أولاً وقبل كل شيء إلى أن تسهم هذه الدراسات في وضع لبنات المجتمع الجديد الذي يتصدره الشعب العامل. ذلك الشعب الذي كدح في الماضي والذي يعيش الحاضر بآمال ومطامح جديدة.

وليس أدل على زهو الشعب الروماني بهذا العمل الجليل الذي يقوم به، من حرص أولى الأمر على إمداد المختصين في البلاد الأخرى الذين زاروا بلادهم بكل ما يجد لديهم من أبحاث وإنجازات في مجال الدراسات الشعبية. فما زال المعهد يمدني بمجلتي «دراسات في جنوب شرق أوروبا»<sup>(١)</sup>، و«الاثنوجرافيا والفولكلور»<sup>(٢)</sup>، اللتين تصدرهما الأكاديمية الرومانية، وعندما صدر تصنيف الحكايات الشعبية الرومانية في مجلدين كبيرين عام ١٩٦٩<sup>(٣)</sup>، تولى المعهد إرسالهما إلي.

إن العمل في الميدان الفولكلوري إذا كان رائده الجد والدأب والصدق، فلا بد أن يؤتي ثماره الياقعة في زمن وجيز. وهذا ما حققته رومانيا وما تعزز بتحقيقه وتحرص على إطلاع العالم أجمع عليه.

---

Revue des Etudes Sud-Est Européennes.

(١)

Revista de Etnografie si folklor.

(٢)

Sabina Cornelia Stroescu: La Typologie Bibliographique de Facéties Roumaines (٣)

(Bucharest 1969).

obeikandi.com

الفصل الثاني

**الدراسات الشعبية في فنلندا**

obeikandi.com

إذا كان هناك مكان ينبغي أن يتردد عليه الفولكلوريون بقصد الاستزادة من العلم المتجدد في مجال الدراسات الشعبية، فإن هذا المكان هو فنلندا. وقد نتسائل عن سبب هذا، خاصة وأن كثيرا من دول أوروبا وآسيا قد بلغت شأواً بعيداً في هذا الميدان. على أننا نعزو هذا لعدة أسباب هي:

**أولاً:** بمجرد أن تطأ قدم الزائر أرض فنلندا يشعر أنه قد جاوز عالم أوروبا. فعلى الرغم من أن فنلندا تعد إحدى الدول الاسكندنافية التي تمثل قمة الحضارة والرقى في أوروبا، فإن بساطة الشعب الفنلندي وجماله، الذي يعد بطبيعة الحال انعكاساً لجمال الطبيعة في تلك البلاد، يحملان الزائر على الشعور بأنه قد جاوز عالم الصخب والكلفة، عالم الآلة والسرعة بل عالم المادة والمادة فحسب. إن الزائر يشعر على التو أن كل فرد من أفراد هذا الشعب الذي لا يتجاوز عدده خمسة ملايين نسمة، طبيعي للغاية، وإنه ليخيل للإنسان أن جميع أفراد هذا المجتمع قد نبت من طينة واحدة، وأن جنورهم أصيلة تمتد إلى أعماق بعيدة. فكل فرد منهم ملتصق بها وإن نما بعيداً عنها في رشاقة أشبه برشاقة الأشجار التي تنمو في الغابات الشاسعة هناك دون اعوجاج لتصل إلى عنان السماء. وربما لم تتح لى فرصة في البلاد التي زرتها بأن أتصل بأفراد كثيرين ابتداءً من عامة الشعب إلى الأساتذة الكبار، كما أتيت لى في فنلندا، فوجدتهم جميعاً يرجعون إلى معدن واحد يعتز به كل فرد. وليس عجيباً بعد ذلك أن يهتم هذا الشعب بون استثناء بترائه وإن يحبه وبرعاه، الأمر الذي كان له أبعد الأثر في المحافظة على التراث الفنلندي الشعبى وعلى الإقبال على الاستمتاع به ودراسته.

وليس أدل على تعلق الفنلندي بأرضه وطبيعة بلاده، من أن الأفراد لا ينزحون في الغالب لقضاء أجازتهم الصيفية، حيث يستمتعون بمظاهر الحضارة والرقى، بل ينزحون مختارين إلى أكواخهم الصيفية البسيطة التي قد شيد كل منها بعيداً في قلب غابة من الغابات وعلى حافة بحيرة طبيعية من تلك البحيرات التي لا حصر لها والتي تتميز بها الطبيعة في فنلندا. ومن المحتم أن يكون بجوار كل كوخ «حمام بخارى Sauna».

وفي هذا المكان المنعزل يعيش الفرد بين أشجار الغابات وكأنها أشقاء له ويجتنى ما تنتبه الغابة من نباتات طبيعية، وهو يستمتع مرة أو مرتين في كل أسبوع بالحمام البخارى، ويرمى

بنفسه إثر ذلك فى البحيرة الطبيعية. وفى المساء يقذف بشبكة فى البحيرة لينتزعها فى الصباح الباكر وقد أمتلات بأجود الأسماك. وقد أتيح لى أن أعيش حياة الفنلنديين الطبيعية عن قرب؛ وإذا كنت قد أسهبت فى وصف هذه الحياة، فذلك بدافع رغبتى فى تصوير مدى حب الفنلندى لبلاده ومدى تعلقه بترائه القديم.

ثانياً: إذا كانت الحماسة البالغة والتخطيط العلمى ثم العمل الجدى، عوامل تقف وراء كل عمل ناجح، فإن هذه العوامل نفسها هى السر فى تقدم الدراسات الشعبية فى فنلندا تقداً لانظير له فى نول أوربا. ويهمننا أن نعرف إذن سر هذه الحماسة البالغة، كما يهمننا أن نعرف شيئاً عن التخطيط العلمى لهذه الدراسة وكيفية السير فيها.

لم يكن السبب فى هذه الحماسة التى دفعت الشعب الفنلندى لأن يرفع تراثه ويحافظ عليه، هو الجرى وراء ما يجد من العلوم، حينما عمت موجة الاهتمام بالتراث الشعبى أوربا، بل كان الدافع قومياً بحثاً ومتصلاً كل الاتصال بتاريخ الشعب الفنلندى وكفاحه ونضاله. أى أن الاهتمام بالتراث الشعبى نشأ فى فترة تاريخية عانى فيها الشعب الفنلندى أزمات نفسية جماعية، وأصبح البحث عن التراث الشعبى الضائع بمثابة البحث عن الذات التى افتقدتها الشعب زمناً عانى فيه من جرائم الاستعمار البشعة الشئ الكثير. ولنبداً من البداية متتبعين التخطيط العلمى الذى وضعه المختصون نصب أعينهم ثم حققوه بعد ذلك عملياً، الأمر الذى جعل الدراسات الشعبية فى فنلندا تسير - منذ أن نشأت - فى خط بيانى يتجه إلى أعلى ولا يعرف الاعوجاج. فلم يمتزج جيل من الأجيال دون أن يبرز فى هذا الميدان فى فنلندا أساتذة عالميون يوجهون هذه الدراسات لا فى فنلندا فحسب بل فى العالم بأسره.

ظلت فنلندا ترزح تحت عبء الاحتلال السويدى قرابة قرن من الزمان، فقد غزت السويد فنلندا فى أواخر السابع عشر، ولم تتخلص فنلندا من هذا الاحتلال إلا فى عام ١٨٠٩. وفى خلال هذه الحقبة الطويلة، أخذ عدد الفنلنديين الذين يتحدثون لغتهم الأم يتضاقل، فقد فرض الاحتلال السويدى اللغة السويدية لا فى المدارس والجامعات فحسب، بل جعلها لغة الحديث اليومى. وكان الهدف من وراء هذه الخدعة الاستعمارية الماكرة بطبيعة الحال، هو الفصل التام بين الشعب الفنلندى وبين أصوله، تمهيداً لاذابته فى الشعب السويدى. وطبيعى أن تعتمد

السويد بعد ذلك إلى حرق كل تراث فنلندي مكتوب. وتأكدت السويد واهمة أن عملية القضاء التدريجي على اللغة القومية وإبادة التراث القومي، كفيلة بأن تجنّبها أية مقاومة شعبية. ولكن هذه الخطة أخفقت عندما قاوم الشعب الفنلندي كل أساليب الاضطهاد. ولم يهّمه أن أحرق المستعمر تراثه، إذ أن ما كان الشعب الفنلندي يحفظه منه، كان كافياً لأن يكون دعامة قومية راسخة يبنى على أساسها شخصيته المستقلة من جديد.

وعلى الرغم من أن فنلندا لم تستقل تماماً بعد ذلك، إذ أنها عاشت فترة احتلال آخر تحت حكم روسيا، إلا أنها منحت على الأقل استقلالها الداخلي، ومن ثم فقد بدأت فنلندا تنتسم عبر الحياة الفنلندية القومية. وكان أول من وضع أسس الدعامة العلمية لكثير من فروع البحث القومي في فنلندا هو الأستاذ ه.ج. بورتان (١٧٣٩-١٨٠٤) الاستاذ بجامعة «توركو» عاصمة فنلندا في فترة الاحتلال السويدي، وتركزت الأبحاث حول اللغة الفنلندية والتراث الشعبي الفنلندي والتاريخ الفنلندي.

هذه الحماسة القومية البالغة هي التي دفعت «الياس لونروط» (١٨٠٢-١٨٨٢) لأن يقوم بأول رحلة ميدانية في عام ١٨٢٨ لجمع الشعر الفنلندي.

وحيثما أنشئت جمعية التراث الفنلندي في عام ١٨٢١، لم يكن ذلك سوى استجابة لروح العصر. وربما كانت المادة الهائلة التي جمعها «لونروط» دافعا من دوافع إنشاء هذه الجمعية؛ إذ رأى المختصون ضرورة تنظيم هذه المادة التي جمعها لونروط من أفواه الشعب وتنظيمها واعتبارها نواة للارشيف الفولكلوري الذي بدأت الجمعية في تأسيسه، ثم العمل أخيراً على نشرها. وانتخب «لونروط» أول سكرتير لهذه الجمعية كما روعى المبدأ الديمقراطي في تكوينها. إذ أصبح لكل إقليم في فنلندا ممثل أو أكثر في هذه الجمعية. وقررت الجمعية أن تجتمع أول أربعاء من كل شهر، ومازال هذا التقليد متبعاً حتى اليوم. كما اختير يوم ١٤ مارس - اليوم الذي توفي فيه بورتان - أبو التاريخ الفنلندي - يوم الاحتفال بإنشاء الجمعية.

وهكذا انشئت الجمعية الفنلندية بجهود فردية، علمية ومادية، وما تزال هذه هي السمة الأولى للجمعية، وإن كانت الدولة توليها كل رعاية.

وقد حددت الجمعية هدفها في مبدأين رئيسيين: أولاً: العناية بالتراث الشعبي جمعاً وتنظيماً ودراسة. ثانياً: العناية باللغة الفنلندية وبكل ما يكتب باللغة الفنلندية. ويهتما الآن أن نشير إلى ما حققته الجمعية بالنسبة للتراث الشعبي والدراسات الشعبية.

وفي سبيل ذلك وضعت الجمعية خطة عمل واحدة كما حددت مسؤولياتها فيما يلي:

أولاً: الجمع بين الباحثين والتقريب بين وجهات نظرهم.

ثانياً: تنظيم الأرشيف وتنظيماً علمياً والعمل على إثراء مادته.

ثالثاً: الإشراف على جمع التراث عن طريق تعيين طاقم من الجامعين الدارسين ومنح جوائز رمزية للهواة الذين يجمعون التراث وفقاً لمنهج الجمعية العلمي.

رابعاً: إلقاء المحاضرات العلمية.

خامساً: العمل على نشر المادة الشعبية والأبحاث التي تكتب حولها.

ومقر الجمعية الرئيسي العاصمة «هلسنكي»، وهي على صلة تامة بفروعها التي أنشئت في بعض بلاد فنلندا. وهي تستقل بمبنى كبير خصص الطابق الأسفل منه للأرشيف، والأوسط للمكتبة الهائلة، والعلوى بقسم الدراسات الشعبية. وبهذا أصبح هذا المبنى أشبه مايكون بالمعهد الكبير للدراسات الشعبية. وتتكون الهيئة التنفيذية للجمعية من اثني عشر عضواً: مدير ونائبين له وسكرتير ومدير للمكتبة ومدير للأرشيف وستة أعضاء آخرين. ومدة العضوية لهؤلاء ثلاث سنوات فيما عدا السكرتير، ومدير المكتبة ومدير الأرشيف الذين تمتد عضويتهم إلى ست سنوات. وفضلاً عن ذلك فالجمعية تضم أعضاء بالمراسلة وهم الأجانب الذين يشجعون نشاط الجمعية عن طريق الأبحاث العلمية. وحتى عام ١٩٥٥ كانت الجمعية تضم سبعة وعشرين عضواً بالمراسلة.

وفي عام ١٨٣٦ نشرت الجمعية الطبعة الأولى من ملحة «كليفال» وكان في ذلك تحقق للأمال الرومانسية الوطنية التي تعد الدافع الأول على نشأة الجمعية. ألم يكن الشعب الفنلندي يحلم بإنقاذ ثروته القديمة من الشعر الشعبي؟ وحينما ظهرت الطبعة الثانية لهذه الملحة في

عام ١٨٤٩، كانت الملحمة قد بدأت تأخذ طريقها إلى قلوب أفراد الشعب الفنلندي وبدأ تأثيرها يظهر في أعمال جماعة الفنانين الرومانسيين وفي أعمال الموسيقيين وذلك في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

ولا يعد «لونروط» مؤلفا لهذه الملحمة الوطنية الخالدة بقدر ما يعد منظما للمادة الشعبية في شكل أدبي فني. فقد قام لونروط برحلاته الميدانية في عام ١٨٢٨ بقصد جمع التراث الشعبي الفنلندي من أفواه الشعب. وقد كان الشعب الفنلندي في ذلك الوقت يحفظ تراثه حفظا متقنا وفي وفرة بالغة، إلى درجة أن بدأت المادة الشعبية تتدفق على قلم «لونروط» الذي رأى ضرورة تنظيم هذه المادة في عمل فني موحد، نون أن يغير من النص الشعبي على الإطلاق. ولهذا فقد بدأ يجمع بين الأشعار المختلفة في موضوع واحد في وحدة واحدة. وبهذا أصبحت الملحمة تتضمن أشعاراً بطولية وحكايات أسطورية وأغاني الاحتفالات والزواج والميلاد. وأغاني المهد وألعاب الأطفال وأغانيهم.

وسعد الشعب الفنلندي بظهور ملحمة الوطنية أيما سعادة، وأصبح يردد حوادث تاريخية في جوها الأسطوري الرائع. كما أصبح يدرك تماما أن لغته غنية بالتعبير وليست فقيرة كما أوهمه الاستعمار من قبل. أي أن الملحمة الوطنية قد أيقظت في نفس الشعب الفنلندي العقيدة والثقة.

وكانت الملحمة بمثابة الينبوع الذي تدفقت منه الأبحاث المختلفة حول الفن الوطني والأدب الوطني والتاريخ الوطني وكل ما هو وطني وقومي. بل إنها كانت دافعا وراء الرحلات الميدانية الواسعة التي قام بها الباحثون بقصد جمع مزيدا من التراث الشعبي.

وقد كان الواجب الأول على جمعية التراث أن تستخدم كل وسائل الإعلام لتنبية الشعب الفنلندي إلى قيمة تراثه. وقد استجاب الشعب الفنلندي لهذا النداء ابتداء من عامة الشعب حتى الدارسين الأكاديميين. بل إن بعض العمال والفلاحين كانوا يدنون المادة الشعبية التي تعيش داخل نطاق الأسرة ويرسلونها إلى الجمعية. وقد ساعد على ذلك أن الأمية لم يكن لها وجود في فنلندا منذ عام ١٦٠٠ كما تذكر مراجعهم العلمية. ثم كان الدارسون المتخصصون يقومون على رأس جماعة من الهواة للقيام برحلات علمية يشترك فيها الجميع في عملية التسجيل والتوثيق.

وفى عام ١٨٨٧ بلغ عدد المواد التى احتوى عليها الأرشيف ما يقرب من ٤٣٠٠٠ مادة موزعة كما يلى: ١٢٠٠ حكاية شعبية، ١٤٠٠٠ أغنية، ٢١٠٠٠ مثل شعبي، ٦٠٠٠ لغز، ٢٣٠ لحنًا موسيقيًا.

وهكذا أصبح الأرشيف فى نهاية القرن التاسع عشر يحتوى على مادة خصبة هدت الدارسين المتخصصين إلى أول منهج فى الدراسات الشعبية، وهو المنهج الجغرافى التاريخى الذى اشتهرت به فنلندا، والذى أسسه «يوليوس كرون» على أن «يوليوس كرون» لم يحقق هذا المنهج علميا كما كان يطمع، بل ترك ابنه الباحث الفولكلورى العالمى «كارل كرون» لى يكمل رسالته من بعده. وكان ينبغى، تحقيقا لهذا المنهج، أن يرسل «كرون» الجامعين للعمل الميدانى لايجمعوا مزيدا من المادة الشعبية فحسب، بل ليجمعوا أكبر قدر من الروايات المختلفة للمادة الواحدة. وبهذا تغير منهج البحث الميدانى على يد كارل كرون، ولا يزال هذا المنهج، أعنى تدوين أو تسجيل الروايات المختلفة للنص الواحد، متبعا حتى اليوم، لأنه أصبح يخدم مناهج متعددة للبحث نشأت بعد ذلك، ومن أهمها المنهج النفسى والمنهج الوظيفى. وقد علق الأستاذ الدكتور ماتى هافيو، أحد الأساتذة المحدثين فى فنلندا على منهج كارل كرون بقوله:

« لقد كانت مادة التراث الشعبى - قبل كارل كرون- تجمع بوصفها موضوعا لذاتها. أما بعد كرون فقد أصبحت المادة تجمع بقصد استخدامها فى البحث، أى أنها تعد مادة فحسب، كما أن البحث لم يعد مقصورا على ملحمة كاليقالا، بل شمل كل مادة تجمع من أفواه الشعب<sup>(١)</sup>.

ثم تطور البحث خطوة بعد ذلك، إذ أعلن أحد الباحثين أن فهم النصوص المروية يتوقف على فهم معتقدات الشعب وعاداته وتصوراته، وإلا أصبحت النصوص عظاما بلا لحم. وتهدف هذه الدعوة إلى ضرورة ربط مادة التراث الشعبى بعضها ببعض، لأنها تنبع من شعب واحد وتؤدى غرضا واحدا فى حياته. ولهذا فقد نشط الجامعون لجمع مادة جديدة لم يكن يضمها الأرشيف من قبل وهى مادة السحر والطقوس.

Studia Fennica, Tome VII, P. 15.

(١)

أما نشاط «كارل كرون» فى نطاق جمعية التراث الشعبى، فقد بدأ منذ أن كان طالبا بالجامعة. وقد استطاع أن يضيف إلى مادة الأرشيف ما يقرب من ١٨٠٠٠ مادة تحتوى على حكايات شعبية وأساطير وأشعار ومادة فى التطير والتفاؤل والسحر. وقد رأى «كرون» بناء على تجاربه الميدانية، ضرورة تنظيم عملية الجمع بحيث يقوم بها جماعة من المتفرغين الذين يعينون بالجمعية، كما أُلّف لهم دليلا يكون رائدهم فى عملية جمع الحكاية الشعبية سماه «دليل لجامعى الحكايات الشعبية الفنلندية». واقتدى الباحثون به بعد ذلك، فظهر دليل آخر لجامعى مادة السحر. ثم أصدرت الجمعية فى عام ١٩٠٣ دليلا عاما لجمع التراث الشعبى كلها. وقد تم كل هذا تحت إشراف «كارل كرون» وبفضل نشاطه وحماسه الشخصى، حتى إذا كان عام ١٩٣٠ أى قبل وفاة «كرون» بثلاث سنوات بلغت مادة الأرشيف ٥٤٢٠٠٠ مادة. وبعد وفاته خلفه فى منصبه بوصفه رئيسا للجمعية الوطنية الأستاذ الدكتور «ماتى هافيو» الذى شغل منصب أستاذ الفولكلور المقارن بجامعة هلسنكى منذ عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٥٦.

وقد استطاع هافيو، أن يوجه العمل فى الأرشيف فى اتجاه آخر؛ فقد قدم أولا دراسة جديدة للملحة كاليبالا تقع فى ستة أجزاء تعد دراسة للتراث الشعبى من وجهة نظر حديثة. وقد قدمت ودراسة لهذه الملحة فى عدد من أعداد مجلة تراث الإنسانية التى كانت تصدر بالقاهرة. وقد نشرت أبحاث «كرون» حول ملحمة كاليبالا ضمن أبحاث «جماعة الفولكلور العالمية Folklore Fellowship Communication ومقرها فنلندا كما يشرف على إنتاجها أساتذة عالميون من بينهم «ماتى هافيو».

وقد روعى فى تنظيم الأرشيف أن يحتفظ بمجموعات الأفراد الجامعين كما هى فى ترتيب أبجدى، بعد فحص مادتها وتقديمها بفهرس يشير إلى ما تحتوى عليه من مادة. ومعنى هذا أن مادة الجامع إذا كانت مسجلة على شريط، ينبغى أن تفرغ كاملة. ويضم أرشيف الجامعين فى نفس الوقت بطاقات تحتوى على اسم الجامع وعمره والمكان الذى جمع منه مادته والمادة التى جمعها وتاريخ جمعها وإشارة إلى مجموعته التى تضم المادة الكاملة. ثم هناك بعد ذلك أرشيف الأمكنة وهو يحتوى على بطاقات أخرى مستخلصة من البطاقات الأولى وتحتوى كذلك على اسم الجامع وعمره والمادة التى جمعها وتاريخ جمعها وإشارة إلى المجموعة التى تضم

النص الكامل للمادة، والغرض من هذا الأرشيف هو ضم المواد المختلفة التي جمعت من مكان واحد بعضها إلى بعض، وذلك بقصد التسهيل على الباحثين الذين يهدفون، على سبيل المثال، إلى وضع دراسة اجتماعية نفسية من خلال المادة الفولكلورية لمجموعة من الشعب تسكن في بيئة بعينها. ويأتى بعد ذلك أرشيف الموضوعات وهو يعتمد على التصنيف العلمى الذى وضعه الباحثون فى كل مادة. وقد نشط الباحثون الفنلنديون منذ زمن فى وضع هذه التصنيفات. وتصنيف «أنتى أرنى» للحكايات الشعبية معروف. وقد قام الأستاذ طومسون بتتقيقه وأصبح يعرف بتصنيف «أرن طومسون». وهناك تصنيف للأساطير والحكايات الأسطورية والحكايات التعليلية والموسيقى الشعبية والألعاب والسحر إلى غير ذلك. وتحتوى بطاقات هذا الأرشيف على ملخص للمادة أو على النص الكامل لها مع ذكر اسم الجامع وعمره والمكان الذى جمع منه مادته وتاريخ ذلك وإشارة إلى الكتالوج الذى يحتوى على المادة الكاملة، كما يحتوى على اسم الشخص الذى رويت عنه المادة وعمره. وقد تتكرر البطاقة الواحدة وتوضع فى أكثر من موضوع إذا اقتضى البحث ذلك. ومثال ذلك أرشيف التقويم، فهو يحتوى على معتقدات ومواد فى التفاؤل والتطير وطقوس سحرية وتنبؤات وأمثلة شعبية وعادات، وكل هذا ينبغى أن يكون له صلة بالتقويم السنوى. وهذه المادة نفسها نجدتها ترصد فى الأرشيف الموضوعى العام الذى تنتمى إليه. فأمثال التقويم تأخذ مكانها فى أرشيف الأمثال، والطقوس السحرية تأخذ مكانها فى أرشيف السحر، وهكذا.

وليس تنظيم الأرشيف والعمل على إثراء مادته على الدوام سوى مظهر واحد من مظاهر نشاط جمعية التراث الفنلندى. فالعمل على نشر التراث الشعبى وما كتب حوله من أبحاث من أهم ما حرصت الجمعية على تحقيقه. وليس فى وسعنا أن نقدم قائمة بما نشرته الجمعية وقدمته، لا للشعب الفنلندى وحده، بل للمختصين فى العالم بأسره فى هذا الميدان، بل يكفى أن نشير إلى أن هذه الجمعية تعد المركز الذى تصدر منه أهم الأبحاث العالمية فى الميدان الفولكلورى، بل أنها تصدر النوريات التى يعرفها كل باحث فولكلورى وهى مجلة F.F.C. ومجلة Temenos التى تتجه بالبحث اتجاها جديدا يهدف إلى الربط بين الفولكلور والدين. ثم مجلة دراسات فنلندية Studia Fennica ومجلة Proverbium وكل هذه النوريات تصدر أبحاثها باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية معا حتى يتسنى للباحث فى أى مكان من بلاد العالم أن يتتبعها.

وينبغي أن أشير كذلك إلى أن الجمعية بعد كل هذا الجهد حققت هدفا بعيدا، هو الربط الوثيق بين التراث الشعبي الفنلندي والأدب الفنلندي بصفة عامة. ولعل هذا الربط هو الحافز الأكبر الذى يدفع كثيراً من الدارسين فى فنلندا لأن يدرسوا فى قسم الدراسات الشعبية.

### والمواد التى تدرس بهذا القسم هى:

١ - مناهج البحث فى الأدب الشعبى.

٢ - ملحمة كاليغالا.

٣ - الحكاية الخرافية.

٤ - الحكاية الشعبية.

(أ) الحكاية الشعبية الأسطورية.

(ب) الحكاية الشعبية التاريخية.

(ج) الحكاية الشعبية المحلية.

(د) الحكاية الشعبية التعليلية.

٥ - معنى الأصوات المقلدة للطبيعة.

٦ - الشعر الملحمى.

٧ - الشعر الغنائى الشعبى.

٨ - أغانى الأطفال.

٩ - التعاويذ السحرية.

١٠ - المعتقدات الشعبية.

١١ - الألعاب الشعبية.

١٢ - الأمثال والتعبيرات الشعبية.

١٣ - بيئة التراث الشعبى المتداول.

والقسم حريص فوق كل ذلك على إطلاع الباحث المبتدئ على أهم الأبحاث التي تصدر حديثاً. ولذلك فقد خصصت محاضرات لمناقشة هذه الأبحاث بعد أن يقوم القسم بتصويرها وتوزيعها على الطلبة. وبهذا يتسنى للباحث أن يكون على صلة دائمة بأهم ما يجد من أبحاث، بل إن هذا يعينه على تمثيلها تمثلاً كاملاً، إذ إن منها ما يشق فهمه على الطالب المبتدئ. وفضلاً عن ذلك فإن هذه المناقشة تهيئ للطالب فرصة تطبيق ما تحوى عليه من هذه الأبحاث من مناهج، في مجال دراسة التراث الشعبي الفنلندي دراسة عملية.

ونود الآن أن نشير على وجه السرعة إلى نموذجين من البحث العميق، أحدهما قديم نسبياً والآخر حديث، لنذكر كيف أن البحث العميق يعد رائد الدارسين الفنلنديين منذ أن بدأت الدراسات الشعبية تأخذ طريقها إلى حياتهم العلمية. والبحث الأول للباحث «أنتى آرني» صاحب التصنيفات الشهيرة. والبحث عنوانه «أساس البحث المقارن في الحكاية الخرافية»<sup>(١)</sup>.

وقد نشر البحث عام ١٩١٣ في مجلة جمعية الفولكلور العالمية F.F.C.

ويبدأ الكاتب بحثه بعرض تاريخي لمناهج البحث في الحكاية الخرافية حتى يصل إلى المنهج الجغرافي التاريخي، فيذكر أن أول من أشار إلى هذا المنهج هو العالم الفنلندي «يوليوس كرون» حينما تساعل في بحثه عن ملحمة كاليغالا عن المكان الذي نشأت فيه الملحمة. وقد استطاع عن طريق القرائن اللغوية والمادية أن يصل إلى أن بعض أغنيات الملحمة نشأت في غرب فنلندا وبعضها الآخر نشأت في جنوبها. ثم انتقلت الأغنيات بعد ذلك من الغرب إلى الشرق ومن الجنوب إلى الشمال. وهكذا بدأ «كرون» يحلل الملحمة محاولاً إرجاع كل نص فيها إلى ظروفه الجغرافية التاريخية الأولى.

ثم انتشر هذا المنهج في فنلندا وليس غريباً أن ينتشر فيها، واستخدم بصفة أساسية في البحث عن أصول الحكاية الخرافية. ذلك لأن الحكاية الخرافية على الرغم من قوانينها المحددة التي التزمها في جميع أنحاء العالم، تختلف روايتها في كثير أو قليل. ولما كان هذه الاختلاف يحدث وفقاً لقوانين محددة في التفكير والتصوير، فإن الهدف الأول من هذا الاختلاف هو الوصول إلى نماذج من التفكير والتصوير لدى كل من الشعوب التي عاشت بينها الروايات المختلفة للحكاية الواحدة.

Anti Aarne: Leitfaden der vergleichende Märchenforschung, (Hamina, 1913). (١)

على الباحث إذن أن يقارن بين الروايات المختلفة حتى يرتد بالحكاية إلى أصلها الأول ثم يسير معها في تجوالها، وفي سبيل ذلك ينبغي أن يتبع خطة البحث التالية:

- ١ - جمع الروايات المختلفة للحكاية الواحدة جمعاً متقناً شاملاً.
- ٢ - ترتيب الحكايات ترتيباً مكانياً.
- ٣ - ترتيبها ترتيباً زمنياً قدر الإمكان.
- ٤ - تحليل مادة الحكاية الواحدة إلى عناصرها الأساسية وبحث كل عنصر على حدة.
- ٥ - المقارنة بين ملامح العنصر الواحد في الروايات المتعددة. وهذه الملامح هي الشخصيات والعناصر السحرية والقدرات.

والى هنا تنتهى الخطوة الأولى من البحث. أما الخطوة الثانية وهى تحديد الشكل الأول للحكاية الخرافية فيطلب من الباحث أن يراعى الفروض الآتية:

- ١ - أن الموتيقات التى ترد بوفرة فى بعض الروايات أكثر أصالة من تلك التى ترد فيها على قلة..
- ٢ - قد ترشد الأحوال الطبيعية التى تظهر فى الروايات المختلفة إلى تحديد الأصل المكانى.
- ٣ - الملامح التى تنتشر فى مساحة مكانية شاسعة أكثر أصالة من تلك التى تنتشر فى مكان محدود.
- ٤ - إذا كانت هناك روايتان إحداهما ناقصة والأخرى مكتملة.. تفضل الرواية الثانية على الأولى.

ومع ذلك فليس من السهل دائماً الوصول إلى المكان المحدد الذى نشأت فيه الحكاية الخرافية، ولكن من السهل الوصول إلى البيئة العامة للحكاية، أى تحديد ما إذا كانت الحكاية أوربية الأصل أم أفريقية أم أسيوية.

على أن البحث فى الحكاية الخرافية لا ينتهى عند حد العثور على شكلها الأصلى والمكان والزمان اللذين نشأ فيهما هذا الأصل، والطريق الذى سارت فيه الحكاية الخرافية فى

انتشارها. بل تعد هذه الأبحاث عند اتمامها نقطة البداية لأبحاث كثيرة فى الحكاية الخرافية. فتحليل الحكاية الخرافية إلى عناصرها يساعد على استخلاص ما فيها من معتقدات وعبادات وتصورات تكون مادة خصبة للأنثوجرافيين ولعلماء النفس واللائثروبولوجيين إلى غير ذلك. كما أن السؤال عن أثر الحكايات بعضها فى بعض معناه السؤال عن أثر الحضارات بعضها فى بعض. وكل هذه المسائل تعد مجال انطلاق لباحثى المستقبل.

ولما كان هذا المنهج يتطلب معرفة عميقة بالحكاية الخرافية وأصولها وعناصرها وموضوعاتها، فإنه يتحتم على الباحث أن يستفيد من الأبحاث الكثيرة التى صدرت فى هذا المجال، كما عليه أن يستعين بتصنيفات الحكاية الخرافية التى تهديده إلى الروايات المختلفة.

وإلى هنا ينتهى الجزء الأول من البحث، أما الجزء الثانى فهو دراسة تطبيقية لتلك النظريات التى وضعها أنتى أرنى. وهذا يدل على أن المذهب الجغرافى التاريخى لم يكن مجرد نظريات، بل أثبت أنه منهج عملى. وإذا كانت هناك مناهج متعددة قد جددت بعد ذلك، فإن المنهج الجغرافى التاريخى يعد فى الحقيقة أساسا لها. والشئ الذى جد على هذا المنهج هو أن العلماء لم يعيدوا يحرصون على الوصول إلى التحديد المكانى الزمانى لحكاية من الحكايات، بل أصبحوا يستخدمون منهج المقارنة بين الروايات المختلفة استخداما عميقا واسعا بخاصة بعد أن أنشئ الأرشيف العالمى للحكاية الخرافية والشعبية فى مدينة «جوتنجن» بألمانيا الغربية.

وأما البحث الآخر فهو مقدمة كتاب «عقيدة الإيمان بالأرواح» فى «اينجرمان لاند»<sup>(١)</sup> للأستاذ الدكتور «هونكو» رئيس قسم الدراسات الشعبية فى جامعة توركو بفنلندا. وعلى الرغم من أن موضوع الكتاب محدود وليس عاما، إلا أن مقدمته الطويلة تعد رائدا لدراسة مثل هذا الموضوع فى أى مكان ما. وقد نشر البحث عام ١٩٦٢ ضمن مطبوعات F.F.C.

وقد استطاع الباحث أن يعرض منهج البحث فى هذا الموضوع من خلال طرحه للأسئلة الآتية:

١ - فى أى الظروف تعيش عقيدة الإيمان بالأرواح، وما العوامل التى جعلتها تعيش حتى الآن؟

Lauri Honko; Geisterglaube in Ingermanland, Helsinki 1962.

(١)

٢ - ما الاحتياجات الإنسانية والمؤثرات الاجتماعية التي حققتها هذه العقيدة، بل جعلتها ضرورية ولازمة؟

٣ - من الأفراد الذين كان لهم الأثر البالغ في حمل هذا التراث ولماذا؟

٤ - كيف تعيش هذه العقيدة في حياة الفرد وفي حياة الجماعة؟

٥ - كيف تتمثل هذه العقيدة في سائر أشكال التراث الشعبي، وكيف تكشف عن السلوك والتفكير الجماعي؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة ترسم منهاجاً يطلق عليه الباحث منهج «التحليل الوظيفي»، وحيث أن أهمية كل بحث أولاً وأخيراً إلى مدى ما يستطيع أن ينقل الباحث إلى قارئه من معلومات، ومدى مقدرته على تعريفه بشئٍ جديد وعميق في الوقت نفسه، فقد شرع الأستاذ «هونكو» بعد ذلك في مقدمته في شرح بعض المفاهيم الفولكلورية شرحاً علمياً فولكلورياً مسهباً. وهذه المفاهيم هي:

١ - التجارب الخارقة للعادة وهي تلك التي يعيشها الإنسان مع عالم الأرواح. فالشعب لا يحكى عن هذه التجارب فحسب بل يعيشها. وقد تمكن الكاتب من تعريف هذه التجارب تعريفاً فولكلورياً واجتماعياً ونفسياً.

٢ - الأساس الواقعي لتجارب الإنسان مع عالم الأرواح. ويعنى بذلك الوصول، عن طريق عرض الأسئلة المحددة على الشعب، إلى إدراك طبيعة الأرواح من وجهة نظر الشعب وبهذا نصل إلى الأساس الواقعي لهذا التصور.

٣ - الإطار الذي يحتوى على الشواهد Frame of reference. ففي هذا الإطار يتحتم على الباحث أن ينظم الشواهد ويعطى لها الدلالات ويكملها. وهذه الشواهد هي التي تحدد قيمة الحياة بالنسبة للفرد والجماعة.

٤ - أشكال التجارب مع عالم الأرواح وهي تتمثل في الرؤى المتخيلة وفي الرؤية البصرية والحالة الشعورية.

٥ - سلوك الإنسان إزاء هذه التجارب.

٦ - الطقوس السحرية التي يطرد بها الإنسان الأرواح الشريرة أو يسخر عن طريقها الأرواح الخيرة.

٧ - علاقة الدين بعالم السحر.

٨ - العلاقة بين الفرد والتراث الشعبى الجمعى.

وكما وضع الأستاذ أنتى أرنى النظريات من قبل ثم شرع بعد ذلك فى تطبيقها، فقد شرع الأستاذ هونكو بالمثل فى تطبيق منهج التحليل الوظيفى فى دراسته لعقيدة الإيمان بالأرواح فى منطقة «انجرمانلاند» فى فنلندا.

ونرجو أن تكون هذه الدراسة كافية لأن تقنعنا بأن الدراسات الشعبية المثمرة تنبع أولاً من إحساس عميق بانتماء كل فرد إلى تراثه كما أنها فى أشد حاجة إلى العقلية العلمية المتخصصة.

الفصل الثالث

الدراسات الشعبية فى ألمانيا

obeikandi.com

يمكننا أن نقول إن الدراسات الشعبية فى ألمانيا بدأت بصفة جدية فى القرن السابع عشر. ولم تكن الدراسات إنثروبولوجية أو إثنوجرافية، ولكنها كانت شعبية صرف. فى هذا القرن تقدم الباحثون للجامعات الألمانية برسائل علمية عن الخرافات والأشباح. ولكن لما كانت ألمانيا فى ذلك العصر منجرفة فى التيار العقلانى الذى ساد فى أوروبا فى أواخر القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر، فقد قوبلت مثل هذه الأبحاث بالسخرية والتسخيف من قبل المفكرين الذين لم يروها جدية بالبحث الأكاديمى.

أما علم الدراسات الشعبية الحديث فى ألمانيا فهو يقترن بحق بالأخوين جرم اللذين نشرتا عام ١٨١٢ أول مجموعة للحكايات الشعبية الجرمانية تحت عنوان «الأطفال وحكايات البيوت»، وهى المجموعة التى ما يزال تأثيرها قويا حتى اليوم فى الشعب الألمانى. ولم يقم الأخوان جرم بجمع الحكايات الخرافية الألمانية فحسب، بل قاما كذلك بجمع الأساطير وأشكال العادات والقوانين الجرمانية القديمة. ولم يكن يدور بخلد الأخوين أنهما بذلك يرسيان دعائم علم جديد هو علم الدراسات الشعبية، ذلك أن هذا الإصطلاح<sup>(١)</sup> لم يرد فى أبحاثهما قط، بل كان الأخوان مدفوعين إلى ذلك بدافع قومى بحت؛ فقد خشيا فى موجة الامبريالية واختلاط العالم بعضه ببعض نتيجة فتوحات نابليون، أن تطمس معالم الشعب الألمانى، ويندثر تراثه الشعبى. ومن ثم فقد ألحا على جمع كل ما له طابع جرمانى قديم. ولعل هذا هو السبب فى اهتمام الأخوين بجمع التراث الجرمانى فى قبل عصر المسيحية؛ ذلك أنهما عدا المسيحية دخيلة على تراث الشعب الجرمانى الوثنى الذى حرصا كل الحرص على جمع أساطيره وتقاليده وعاداته وخرافات. فإذا أضفنا إلى ذلك ما قام به الأخوان من دراسات لغوية معتمدة على المادة جمعها، فإن دراسات الأخوين وجهودها تعد بحق الدعامة الأساسية التى ارتكزت عليها الدراسات الشعبية فيما بعد. ولقد كانت هذه الدراسات وتلك الجهود بمثابة القوة المحركة لنشاط حركة الدراسات الشعبية فيما بعد، والدافع الأول لظهور جيل بل أجيال من رواد الفكر الألمانى فى مجال الدراسات الشعبية بصفة عامة.

وقد خصص الباحثون الألمان القدر الأكبر من جهودهم فى دراسة التراث الشعبى الألمانى بعامه.

(١) فولكسكندة Volkskunde

ففى عام ١٨٩٨ ألف «هوجو ماير» «الفولكسكندة الألمانية». وكانت تلك الكلمة قد شاعت فى ذلك الوقت بتأثير محاضرة «ريل» (١٨٢٣-١٨٩٧) تحت عنوان «الفولكسكندة بوصفه علما» (كما سنشير إلى ذلك وشيكا). ويحتوى هذا الكتاب على معلومات دقيقة عن شكل القرية الألمانية وأشكال البيوت، كما يعرض فيه عادات الفلاحين وتراثهم الروائى من حكايات وأمثال وألغاز. وفى عام ١٩٠٤ ألف «إيريك شيمدت» كتابه عن «الفولكسكندة الألمانية فى عصر سيادة النزعة الإنسانية وعصر تحول المسيحية». وفى عام ١٩٢٦ ألف «جون ماير» كتابه حول «الدراسات الشعبية الألمانية». كما ألف «ولهم بسلر» موجز الدراسات الشعبية الألمانية» فى ثلاثة أجزاء. وفى عام ١٩٣٤ ألف «أنولف سبامر» كتابه «الدراسات الشعبية الألمانية» ويقع فى جزعين. وهذه الكتب جميعا أشبه بدوائر المعارف التى تعرض التراث الشعبى عرضا تاريخيا نقديا وتفسيريا. ومنذ عام ١٨٥٥ بدأت تصدر مجلة «الفلكسندة الألمانية»، وبعد ذلك تكونت جمعية الفلكسندة التى ضمت المؤرخين والأدباء ومديرى المتاحف وأساتذة القانون والطب والموسيقى الذين أبدوا، كل فى مجاله، الاهتمام بالتراث الشعبى. وقد كان لهذه الجمعية أكبر الأثر فى لم شمل الاهتمامات الفولكلورية المتفرقة وتوجيهها فى شكل علمى منظم.

ومن أهم ما يميز الكتب والموسوعات الألمانية التى صدرت فى مجال الدراسات الشعبية فى ذلك الوقت أنها لم تكن تقتصر على تقديم النصوص، بل أنها كانت ترفقها بالدراسات والتعليقات. حقاً إن مثل هذا حققه الباحثون فى بلاد أخرى متحضرة، ولكن ألمانيا سبقت هذه البلاد فى هذا المجال دون شك. والدليل الواضح على هذا، أن الدراسات التى قدمت بها مجموعة «بوكاشيو» «دى كاميرون» لم يقم بها الباحثون الإيطاليون، بل قام بها الألمان. وإلى جانب هذا فإن عملية الجمع الدقيق والفهرسة المنظمة والتصنيف العلمى من أهم ما يميز الدراسات الشعبية الألمانية. وما تم عمله فيما يختص بالأغنية الشعبية الألمانية لم يتم فى أى بلد آخر. ففى مدينة «فرايبورج» تم إنشاء أرشيف خاص بالأغاني الشعبية ويضم مئات الآلاف من النصوص التى نظمت وصنفت بطريقة رائعة. وقد بدأ العمل فى هذا الأرشيف عام ١٩٣٥ على يد «جون ماير» و«إيريك سيمان» ثم أكمل فيما بعد، وصدر من نصوصه أربعة مجلدات حتى اليوم. وشببه بالعمل فى مجال الأغنية ما قام به «كورت رانك» فى مجال الحكايات الشعبية. وكذلك «بولتى» و«بولفيكا» و«بويكارت». أما رانك فقد نشر كتاباً ضخماً عن «الحكايات الشعبية فى شمال ألمانيا» تحت عنوان «شيلزفنج هولشتين». وهذا الكتاب لا يحتوى

على نصوص الحكايات فحسب، بل يحتوى كذلك على دراسة يفيد منها أى دارس فى مجال الحكايات الشعبية. واما «بولتى» و«بوليفكا» فقد أصدرتا ملحقات لحكايات الأخوين جرم تقع فى خمسة أجزاء تحت عنوان «ملاحظات حول حكايات الأطفال والبيوت». واما «بويكارت» فقد ألف «المعجم المختصر للحكايات الشعبية».

والى جانب الاهتمام بالحكايات الشعبية.. اهتم الباحثون الألمان بالأمثال والألغاز والمعتقدات؛ فقد ألف «فاندر» معجم الأمثال الشعبية الألمانية ويقع فى خمسة أجزاء، كما ألف «باول سارتورى» من قبل كتاباً فى ثلاثة أجزاء عن التقاليد والعادات الألمانية.

ويحق لنا أن نتساءل بعد عرض هذه الجهود، عن المناهج التى سارت وفقاً لها الدراسات الشعبية فى ألمانيا. على أن هذا يتطلب منا، قبل عرض هذه المناهج، أن نعرض المشكلات التى أثرت حول هذه الدراسات وما نشأ حولها من جدل علمى. ويمكننا أن نلخص هذه المشكلات فى النقاط الثلاث الآتية:

١ - علاقة الدراسات الشعبية، خاصة بعد أن استقلت وأصبحت علماً مستقلاً، بالدراسات الإنسانية الأخرى التى كانت الدراسات الشعبية تعيش فى كنفها، وهى الدراسات الأنثروبولوجية والأثنولوجية والأثنوجرافية والحضارية والاجتماعية.

٢ - مفهوم الشعب موضوع الدراسات الشعبية.

٣ - موضوعات البحث التى ينبغى أن يتناولها علم الدراسات الشعبية.

ولقد أثرت هذه المشكلات فى الحقيقة إثر المحاضرة التى ألقاها «ريل» فى منتصف القرن التاسع عشر تحت عنوان «الدراسات الشعبية بوصفها علماً». وقد استطاع «ريل» فى هذه المحاضرة أن يرسى دعائم هذا العلم الذى رأى أن اختصاصه الأول ينبغى أن يهتم بدراسة الشعوب من الجانبين الفكرى والمادى. قال «ريل»: إذا كانت الدراسات الشعبية لم يبدأ الحديث عنها إلا منذ نصف قرن على وجه التقريب، فإن التراث الشعبى نفسه قديم قدم آداب الشعوب. وإذا قيل لنا إن هيروdot وهومير قد أسهما بحق فى هذا المجال، فإننا نرد على ذلك بأن هذا الباحث وذاك الشاعر لم يكتبوا فى الدراسات الشعبية على نحو علمى، بل كان هومير شاعراً وهيروdot مؤرخاً فى المحل الأول. ولم يكن النتاج الشعبى بالنسبة لهما هدفاً فى حد

ذاته، بل كان وسيلة لخدمة غرض آخر. ولا يصبح العلم علماً مستقلاً إلا عندما يعثر على جوهره ويتحرر من عبوديته لأى علم آخر، تماماً كما لا يصبح العبد حراً إلا بعد أن ينسلخ من عبوديته لسيدته<sup>(١)</sup>.

وليس العلم من وجهة نظر «ريل» مجرد الحصول على معارف عن شئ ما. وحتى إذا استطاع الباحثون أن يحصلوا على أدق المعلومات حول هذا الشئ وأن يجمعوا بعضها إلى بعض، فإن هذه المعارف المتراكمة تصنع برج بابل على حد تعبيره ولا تصنع العلم. وإنما العلم من وجهة نظره هو، إدراك واقع الشئ وتلمس كنهه للوصول إلى حقيقته الداخلية. وهو الإمساك بحقيقة الشئ وفقاً لقوانينه وطبيعته وديناميته. وفيما يختص بالدراسات الشعبية، فإن مجرد معرفة حقائق الحياة الشعبية لا يكون مضمون هذا العلم. بل يتمثل محتواه فى إدراك قانون الحياة الشعبية والبنية العضوية لشعب من الشعوب. ومن ثم فلا ينبغى أن تقتصر الدراسة على مجرد إحصاء ظواهرها، بل ينبغى أن تتعدى ذلك إلى إدراك فلسفة الشعب الذى يرتبط كل الارتباط بتاريخه وظروفه البيئية، هذا الارتباط الذى يتمثل فى جوانب ثلاثة: جانب ظاهرى ويتمثل فى الشعور بالقومية، وجانبين خفيين ويتمثلان فى التطور المادى والتطور الفكرى. ومنذ ذلك الحين أصبحت الدراسات الشعبية علماً مستقلاً، كما أدرك الباحثون أن ثمة موضوعات تفصله عن علم التاريخ وعلم الجغرافيا وعلم الحضارة وعلم الإنسان وعلم الاجتماع.

ففى عام ١٨٩٠ نشر «كارل فاين هولده» بحثاً تحت عنوان: «ماذا ينبغى على علم الدراسات الشعبية أن يحقق». وقد رد «فاين هولده» على ذلك بأن مهمة علم الدراسات الشعبية تنحصر فى دراسة الشعب الذى يعيش فى ظروف تاريخية وجغرافية محددة<sup>(٢)</sup>.

فعلم الدراسات الشعبية علم تاريخى وقومى، ومجال دراسته هو الشعب من الناحية الفيزيائية والتاريخية والجغرافية، بقصد الكشف عن اهتماماته الروحية والمادية. وفى هذا

(١) Volksunde: Ein Handbuch zur Geschichte ihrer Probleme, (herausgegeben von Gerh-ard Lutz) Berlin 1958, S.24

(٢) المرجع السابق، ص ٢٩.

يختلف علم الدراسات الشعبية عن علم الأنثروبولوجيا أو علم الإنسان كما نسميه. ففي حين يهتم علم الأنثروبولوجيا بدراسة الإنسان في طبيعته الأولية بصرف النظر عن الجنس والزمان والمكان، يهتم علم الدراسات الشعبية بدراسة شعب معين في أحواله المعاشة. وقد يستعين علم الدراسات الشعبية بعلم الإنسان إذا كان موضوع دراسته المخلفات الاعتقادية (Survivals) عند هذا الشعب. وبالمثل في حين يهتم علم الإثنوجرافيا بوصفه إنتاج الشعب المادى دونما اعتبار إلى ما إذا كان هذا الإنتاج بدائياً أم متحضراً، فإن علم الدراسات الشعبية يهتم بالشعوب التي دفعها التطور الحضارى إلى مرحلة معينة تعيش فيها في ظروفها الراهنة.

فإذا انتقلنا إلى علم تاريخ الحضارة، فإننا نجد هذا العلم، كما يعنى اسمه، يبحث في الأنشطة الإنسانية المعبرة عن التطور الحضارى. ومن ثم فإنه يهتم في المحل الأول بالنشاط الفردى الذى أدى إلى المدنية. فهو يهتم بتطور أجهزة النظام الكنسى وتطور القانون والاقتصاد والفكر والنظام الاجتماعى والأعياد والعلوم والفنون والصناعة. وقد يعترض بأن مؤرخى الكنائس هم الذين يهتمون أصلاً بتطور نظام الكنسى وبأحوال الكنيسة، وبالمثل يهتم الفنانون بدراسة تطور الفنون وهلم جرا. فما دور علم الحضارة إذن؟ وهنا نجيب عن ذلك بأن علم الحضارة يستفيد من أبحاث كل هؤلاء ويجمع بعضها إلى بعض ليقدم صورة كاملة للتطور الحضارى لشعب من الشعوب. وإذا كان علم الدراسات الشعبية يتناول هذه الجوانب، فإنه دون شك يتناولها من زاوية أخرى وهى زاوية وظيفتها في حياة الناس المعاشة ومفزاها الشعبى.

أما فيما يختص بتحديد مفهوم الشعب فقد انقسم الباحثون إزاء ذلك شيعا. ولم يكن غريباً أن يكون السؤال عن الشعب قد راود المفكرين في القرن الثامن عشر، وهو القرن الذى ازدهر فيه الإحساس بقوة الفرد وبالاتجاه العقلانى في التفكير. على أن السبب الأساسى الذى حدا بالمفكرين لأن يتساعوا عن الشعب كان يتمثل في دافعين: دافع علمى وآخر اجتماعى قومى. فعندما بدأ العلماء يهتمون بفلسفة التاريخ، كان من الطبيعى أن يتساعوا عن الروح الشعبى الذى يفوق فى تأثيره فى التطور التاريخى القوة الفردية. وأما الدافع الاجتماعى الوطنى فقد كان نتيجة إعجاب الكتاب الرومانسيين بكل ما هو شعبى وقومى.

وعبارة «ج. ماير» في هذا المجال تصور مدى هذا الإعجاب إذ قال: «لقد خلع الكتاب الرومانسيون معطف الشحاذين عن الشعب الألماني وألبسوه معاطف الملوك وتيجانهم»<sup>(١)</sup>. والواقع أن ليس هناك وقت من الأوقات شعر فيه المفكرون بعقدة الذنب إزاء الشعب الذي أهمل طويلاً كما حدث في العصر الرومانسي.

ولكن من الشعب الذي نتخذه موضوع الدراسات الشعبية؟ هل هو الشعب بأسره أم طبقة محددة منه؟ وقد أجاب «هوفمان كراير» عن هذا السؤال في بحث له نشره عام ١٩٠٢ بقوله: «إن كلمة الشعب تحتوى على مفهومين، أحدهما سياسى والآخر اجتماعى حضارى. وفيما يختص بالمفهوم الأول تستعمل كلمة «أمة»، أما فيما يختص بالمفهوم الثانى فتستعمل كلمة «الشعب». وعند ذلك تسأل «كراير» عن أى المفهومين يهتم به علم الدراسات الشعبية. وقد أجاب بأنه يهتم بطبيعة الحال بالشعب ذى المفهوم الحضارى الاجتماعى. وهو يهتم بهذا الشعب من وجهة نظر تختلف عن وجهة نظر أى علم آخر يكون موضوعه جانباً من جوانب هذا الشعب»<sup>(٢)</sup>.

ولما كثر استعمال كلمة روح الشعب تسأل «جيرامب» ١٩٢٤ فى مقال عنوانه «ماهو الفولكسكند» عما يعنى بعبارة روح الشعب، فأشار إلى ما سبق أن ذكره «فوندت» الباحث النفسانى من أن روح الشعب تعنى تجاربه الداخلية، وهو يعنى هنا التجارب الجماعية لا الفردية. والشعب يستعين بالأسطورة والحكاية واللغز والمثل والأغنية للتعبير عن هذه التجارب. كما تكشف عن هذه التجارب معتقداته وتقاليده وعاداته. وبعد ذلك عرف «جيرامب» الشعب بأنه تلك الجماعة العضوية التى تشترك معاً فى تكوين الحضارة. وهذه الجماعة ليست من وجهة نظره الأمة جميعها، ولكنها تلك الجماعة التى تنشأ فى الأرض الأم وترتبط بها ارتباطاً قوياً يجعلها تعيش فى شكل وحدة عضوية متماسكة.

وفى عام ١٩٤٦ صدر كتاب رائد للأستاذ الدكتور «ريتشارد فايس» تحت عنوان «الدراسات الشعبية السويسرية» وعلى الرغم من أن هذا الكتاب يختص بدراسة التراث

(١) المرجع السابق، ص ١٨٠.

Peuckert, Lauffer: Volkskunde. (Bern,1951) S. 9-10

(٢)

الشعبي السويسري، فإنه أحدث صدى كبيرا في ألمانيا لما يحتوى عليه من دراسات نظرية على جانب كبير من الأهمية. وقد عارض «فايس» في هذا الكتاب فكرة انتماء الفرد إلى الطبقة الدنيا أو الطبقة العليا، كما عارض فيه اختصاص الدراسات الشعبية بطبقة بعينها دون الأخرى. وذلك أن كل فرد من وجهة نظره ينتمى من ناحية السلوك الروحي، إلى ما هو شعبي وما هو فردي معا. أى أن «فايس» لا يبحث عن الشعب من ناحية تكوينه الاجتماعي، بل من ناحية سلوكه الروحي. ومن ثم يمكن أن يكون كل فرد موضوعا للدراسات الشعبية بناء على درجة الشعبية في تكوينه الروحي والفكري. ومقياس هذه الشعبية يتحدد بدرجة ارتباط الفرد بمجتمعه وبتراثه<sup>(١)</sup>.

فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى الحديث عن الجدل الذي ثار حول الموضوعات التي ينبغي على علم الدراسات الشعبية أن يتناولها على وجه التحديد، فإننا نجد «موج» يعارض «فاين هولده» في ذلك التحديد المبهم لاختصاصات علم الدراسات الشعبية، عندما قال إن مهمة هذا العلم تتحدد بدراسة شعب بعينه من الناحية الفيزيائية والتاريخية والجغرافية بقصد الكشف عن اهتماماته الروحية والمادية. ودراسة الملامح الفيزيائية لشعب من الشعوب من وجهة نظر «موج» تدخل ضمن اختصاص الدراسات الأنثروبولوجية أو التاريخية أو الجغرافية. أما فروع الدراسات الشعبية فتتخصص من وجهة نظره فيما يلي:

١ - اللغة.

٢ - المعتقدات.

٣ - السلوك.

٤ - الحرف والأعمال والملابس والأطعمة.

أما اللغة فتشتمل على فروع الدراسات الآتية:

(أ) اللهجات.

(ب) ثروة الشعب اللغوية وأساليب الحياة اللغوية.

(ج) أسماء الشخوص والأمكنة والجبال والغابات والحيوان والنبات.

(د) أشكال التعبير الشعبي الفنى.

Richard Weiss: Volkskunde Schweiz. (Zurich, 1946) S.8.

(١)

وأما المعتقدات الشعبية فتنقسم إلى قسمين، معتقدات حية وأخرى ميتة. أما الأولى فهي تلك التي تحيا في أفكار الشعب على الدوام لارتباطها بكيانه ووجوده مثل الاعتقاد في التشاؤم والتفاؤل بأشياء محددة، والاعتقاد في الأرواح والسحر. وأما المعتقدات الميتة فهي تلك التي أصبحت أشبه بالطقوس التي تتبع بوصفها عادة دون أن يعرف الشعب نشأتها وسبب نشأتها (ومثال ذلك في تراثنا الشعبي الاحتفال بشم النسيم وما يصحبه من مأكولات معينة).

وأما سلوك الشعب، فيرتبط بتكوينه بوصفه جماعة ذات بنية عضوية. أى أنه يتمثل في حياة هذا الشعب الاجتماعية وطريقة استجابته للتطور الحضارى من ناحية وأحداث عصره من ناحية أخرى.

وأخيراً تآتى الأعمال والحرف الشعبية والملابس والأطعمة. وكل هذا يرتبط كل الارتباط بتراث الشعب القديم. ومن ثم فإنه يتحتم الرجوع إلى الوراء عند دراسة هذه الجوانب بهدف استبيان ما هو أصيل فيها وما هو دخيل عليها<sup>(١)</sup>.

ولم يختلف «فيكتور جيرامب» كثيراً عن «موج» في تحديد اختصاصات علم الدراسات الشعبية، ولكنه تحدث عن ضرورة الاهتمام بما يشغل الروح الشعبى من تصورات أسطورية ومخلفات بدائية، مستعينا في ذلك بالدراسات النفسية التي تبحث في اللاشعور الجمعى. وفي هذا يتفق معه «أدولف سبامر».

أما «يولوس شفيترنج» فقد عارض هذا المنهج النفسى ونادى باتباع منهج آخر هو المنهج الاجتماعى. فالهدف من الدراسات الشعبية من وجهة نظره، ليس هو البحث عما يشغل الروح من تصورات بدائية وأسطورية فحسب، بل إن الهدف الأساسى يتمثل في دراسة حضارة الشعب المادية. ومن ثم ينبغى أن تنحصر الدراسة في محيط الفلاحين المرتبطين بالأرض الأم، تلك الأرض التي تصعد منها على الدوام قوى جديدة تتعد عنها ولا تعود إليها. وبناء على ذلك

---

(١) Eugen Mogk: Wesen und Aufgaben der Volkskunde-Mitteldeutsche Blätter für Vol  
kskunde 1-1926 S.22-24.

فقد حدد يوليوس موضوع الدراسات الشعبية بدراسة مجتمع الفلاحين فى بيئته الطبيعية، وذلك من الناحيتين التاريخية والاجتماعية<sup>(١)</sup>.

وقد استطاع «هانز ناومان» بعد ذلك أن يستفيد من هذا الجدل، وأن يجمع بينه فى الدراسات الشعبية الألمانية فيما سماه بالمنهج التاريخى النفسى فى دراسة الشعوب؛ فلا يمكن فهم شعب من الشعوب من وجهة نظره، مالم نعهه متطورا عن المرحلة البدائية. ومن ينكر أصول التفكير البدائى فى الانسان المعاصر، لا يمكنه أن يفهم أى إنتاج فنى يخلقه الشعب. فإذا جاوز الدارس المرحلة البدائية، بحث عن حقبة العصور الوسطى ومجتمع الفروسية، وفى هذه الحقبة كما يقول «ناومن» لا نجد ذكرا للطبقة الشعبية الألمانية. ولكنه حدث بعد عصر الفروسية وعصر النهضة والباروك، أن هبطت مادة التراث الشعبى من مجتمع البلاط ومجتمع الفروسية إلى الطبقة الدنيا، ويتمثل هذا فى الأزياء الشعبية وفى حكايات الفروسية والأغاني والموسيقى، وعند ذلك أمكن أن تقوم للدراسات الشعبية قائمة، فالفولكسكندة يعلمنا من ناحية كيف هبط تراث المجتمع الجرمانى فى العصور الوسطى إلى المجتمع الشعبى الصرف، بحيث استطاع هذا المجتمع أن يخرج من الطور البدائى إلى الطور التاريخى<sup>(٢)</sup>.

على أن دراسة تحلل المادة الشعبية الأرستقراطية ليس هو الهدف الأخير من الدراسات الشعبية. بل يعد البداية الأولى، وتأتى من بعدها المرحلة الثانية وهى مرحلة دراسة الإبداع والخلق عند الطبقة الدنيا من تلك المادة التى وصلت إليها. ذلك أن عملية الخلق التى تتبع من اللاشعور فى هذه الحالة. تختلف فى تكوينها عن عملية الإبداع والخلق فى الطبقة العليا. ومن ثم فإن مهمة الدراسات الشعبية تتمثل فى دراسة التجارب الشعبية اللاشعورية.

وهكذا نرى كيف نشأت الدراسات الشعبية فى ألمانيا، وكيف تطورت بتأثير الجدل الذى أثير حول هذه الدراسات. وعندما انفتحت أمام الدارسين مجالات البحث، كان ينبغى عند ذلك أن تتبلور المناهج التى استخدمت فى دراسة التراث الشعبى الألمانى فيما يلى:

Peuckert: Volkakunde, S.11.

Gerhard Lutz: Volksktude, S.105-106.

(١)

(٢)

## أولاً: المنهج التاريخى اللغوى:

كان من الطبيعى أن يسود الاتجاه التاريخى فى جمع التراث الشعبى ودراسته منذ بداية الأمر، ذلك أن الرواد الأوائل لهذا العلم وعلى رأسهم الأخوان جرم بدأوا منذ البداية فى البحث عن الحضارة الأولى للشعب الجرمانى وما تخلف عنها من إبداع شعبى. ومن ثم فقد بدأ الاخوان جرم بجمع الأساطير والحكايات الجرمانية القديمة التى كان الشعب الألمانى مازال يرويها حتى عصرهما. على أن الأخوين جرم لم يركزا اهتمامهما حول ما تعكسه هذه الأساطير والحكايات من رواسب اعتقادية جرمانية قديمة فحسب، بل اتخذ منها وثيقة لدراسة التطور اللغوى فى اللغة الألمانية. ومن هنا نشأ ما سمي بالمنهج التاريخى اللغوى. على أن الباحثين من بعد الأخوين جرم أدركوا أن الأغاني الجرمانية تعد كذلك، إلى جانب الأساطير والحكايات، منبعاً خصباً للدراسات اللغوية الجرمانية. ومن ثم فقد عكفوا على جمع الأغاني الشعبية. ولكنهم مالبتوا أن أدركوا أن كثيراً من هذه الأغنيات الشائعة يرجع إلى التأليف الفردى لا الجماعى، ومن ثم نشأ السؤال حول أصل هذه الأغنيات ثم عن مصير الأغنيات الشعبية الأصيلة فى الانتشار. وفيما كان الباحثون مهتمين بالدراسات اللغوية، أدركوا أن الكلمات مرتبطة بالأشياء، ومن ثم فقد ظهرت مجلة «الكلمات والأشياء» عام ١٩٠٩<sup>(١)</sup>. ومعنى هذا أن البحث اللغوى أدى إلى البحث الأثنولوجى. ثم أن البحث عن الشئ أدى إلى البحث عن العادات والمعتقدات المرتبطة بهذا الشئ. ومن ثم كان يتحتم أن تظهر مناهج أخرى تستوعب كل هذه الجوانب الجديدة من البحث. وقد ظهر حقاً بعد ذلك المنهج الجغرافى.

## ثانياً: المنهج الجغرافى:

لم ينشأ هذا المنهج بوصفه رد فعل للمنهج التاريخى اللغوى فحسب، بل كان هذا المنهج فى الحقيقة استجابة ملحة للريفة فى دراسة حضارة الإنسان فى ارتباطها بالمكان. فطبيعة البيئة وارتباطها بظروف تاريخية محددة، يكونان شخصية الشعب التى تقاى الزائر الغريب له لأول وهلة. وقد بدأ الباحثون، نتيجة إدراكهم لهذه الحقيقة، بعمل الأطلس اللغوى الذى بدأه

achen. Wörter and Sachen

(١)

«فينكر» عام ١٨٧٦. وفي سبيل إتمام هذا العمل وزعت البطاقات على الجامعين المزودين بأسس العمل الميداني، فقاموا بتدوين الظواهر اللغوية الشعبية نطقاً وتعبيراً. وفي عام ١٩٠٧ عبر «بسلر» عن رغبته الملحة في البدء في عمل الأطلس الفولكلوري أسوة بالعمل في الأطلس اللغوي. وفي هذه المرة بدأ الجامعون الميدانيون في تدوين الظواهر الفولكلورية المرتبطة أصلاً بالتقاليد والمعتقدات والعادات على بطاقات تسلم إلى المكلفين بتوزيعها جغرافياً على الخرائط وفق إشارات رمزية يتفق عليها وتفسر في هامش الخريطة. كما يدون في أعلى الخريطة السؤال المرتبط بمعتقد من المعتقدات مثل الاعتقاد في الجن على سبيل المثال، وهو السؤال الذي قام الجامع بطرحه على عدد كبير من أفراد الشعب في جميع بقاع ألمانيا. ومما هو جدير بالذكر أن هذا الأطلس لم يظهر على الخرائط الظواهر الفولكلورية فحسب، بل أظهر معها الظواهر الدينية والاقتصادية. ثم أرفقت بهذا الأطلس أبحاث يختص كل منها ببحت جانب من هذه الظواهر المصورة على الخرائط. وبهذا يمكننا أن نقول إن مثل هذا الأطلس لا يخدم الدراسات الشعبية وحدها، بل يخدم كثيراً من العلوم المرتبطة بهذه الدراسات. وعلى الرغم من ذلك، فلم يكن في وسع هذا الأطلس أن يدون على خرائطه جميع أشكال التعبير الشعبي مثل الأغنية الشعبية والفن الشعبي والحكايات الشعبية. ومع ذلك فإن هذا المنهج ساعد بدون شك على إبراز معالم الإنسان المرتبط ببيئة جغرافية محددة. ولقد حدثت جميع بلاد أوروبا، فيما بعد، حنو ألمانيا في عمل الأطلس اللغوي والأطلس الفولكلوري. ومن ثم فقد ساعد هذا العمل العلمي الجليل لا على إدراك سلوك الإنسان ومعالم حضارته في الحيز المكاني الذي يعيش فيه فحسب، بل ساعد كذلك على القيام بدراسات مقارنة بين الشعوب وبعضها وبعض.

وقد كان المنهج الجغرافي التاريخي قد ثبتت دعائمه بين الباحثين الفولكلوريين في فنلندا في الوقت الذي نهضت فيه ألمانيا وسائر بلاد أوروبا من بعدها بإنشاء الأطلس الفولكلوري. ولما كان المنهج الجغرافي التاريخي يهدف أولاً إلى جمع روايات كل حكاية شعبية أو خرافية جمعاً تاريخياً وجغرافياً نتيجة إدراك أصحاب هذا المنهج وعلى رأسهم «أنتي آرني» و«كارل كرون» بوجود التشابه بين روايات الحكاية الواحدة التي تروى في كثير من بلاد العالم، وذلك بقصد الاهتمام إلى الأصل الأول لهذه الحكاية، فقد رأى أصحاب المنهج الجغرافي أن يستغلوا ماحققته المدرسة الفنلندية في توزيع الحكايات توزيعاً جغرافياً على الخرائط. وقد اعترض على

هذا بعض الباحثين وعلى رأسهم «الترأندرسون» الذى رأى أن توزيع الروايات المختلفة للحكاية الواحدة على الخرائط لن يفيد الباحث فى الحكايات الشعبية كثيراً، حيث أن الباحث يعد كل رواية حكاية مستقلة ينبغى دراستها على حدة فى بيئتها.

### ثالثاً: المنهج النفسى:

كان أول موضوع أثاره المهتمون بالدراسات النفسية للشعوب هو موضوع الأرض الأم. وهم يعنون بذلك تلك الأرض التى نشأ عليها الإنسان البدائى فى مراحل حياته الأولى، وارتبط فيها بتصورات ومعتقدات بدائية محددة. ذلك أنه قد تكشف لهؤلاء، نتيجة الأبحاث الأنثروبولوجية الرائعة التى قام بها «فريزر» بصفة خاصة، أن هناك رواسب من العصور البدائية تعيش مع الإنسان المتحضر حتى اليوم، وأن هذه الرواسب ليست بالقليلة بحيث يمكن إغفالها. ولا مفر لنا من أن نبحث عن هذه الرواسب فى الفرد الشعبى وفى أشكال تعبيره مثل الحكايات الشعبية والأغاني، وذلك إن شئنا أن ندرس الشعب دراسة متكاملة من الناحيتين السلوكية والروحية. وقد بالغ أصحاب هذا المنهج فى قيمة منهجهم، إلى درجة أنهم ادعوا أن علم الدراسات الشعبية إن هو إلا علم الدراسات النفسية للشعوب. ومن ثم فقد طرح هؤلاء الباحثون نفس السؤال الذى طرحه الفولكلوريون من قبل عن مفهوم الشعب موضوع هذه الدراسات. ولكنهم لم يجهدوا أنفسهم فى تحديد المجتمع الشعبى الذى ينبغى أن يكون موضوعاً لهذه الدراسات، كما فعل الباحثون الآخرون من أمثال «هوفمان كراير» و«هانز ناومن»، لأن الناس جميعاً من وجهة نظرهم ووفقاً لنظريتهم، يصبحون موضوعاً للدراسات الشعبية. ومن ثم فإنه ينبغى من وجهة نظرهم، أن نبحث عن الشعبية فى الشعب بدلاً من أن نبحث عن الشعب نفسه.

ومن أبرز المدارس التى ظهرت فى مجال الدراسات النفسية الشعبية مدرسة «يونج». ومازال أصحاب هذه المدرسة يقدمون للدراسات الشعبية أبحاثاً قيمة فى هذا المجال حتى اليوم. ويتمثل تأثير هذه المدرسة القوي فى الدراسات الشعبية فى البحث عن العناصر المكونة للاشعور الجمعى، وهى تلك العناصر التى لخصها يونج فى مصطلح (النمط الأسمى).

على أن هذا المنهج لم يستطع أن يستقل بنفسه أو يكفى بذاته شأنه شأن المناهج الأخرى. بل تحتم على أصحابه أن يفسحوا الطريق لدراسات أخرى تعينهم على تحقيق مأربهم، مثل الدراسات الاجتماعية والانثولوجية والتاريخية والانثروبولوجية. كما أن أصحاب المناهج الأخرى كانوا يستعينون به لتوضيح بعض نقاط أبحاثهم وتعمقها، كما فعل أصحاب المنهج الجغرافى عندما استعانوا بالباحث (سبامر) فى كتابة تعليقات على أسئلة الأطلس الفولكلورى عام ١٩٣٥.

#### رابعاً: المنهج الاجتماعى:

إذا كان المنهج النفسى يهتم بالكشف عن التجارب النفسية الجمعية وعن مغزاها وعلاقتها بالأصول الأولى للحضارات، فإن المنهج الاجتماعى يتركز حول البنية التركيبية للمجتمع الشعبى وعلاقتها الوثيقة بالتراث الشعبى، وبحملة هذا التراث. وقد ميز Tönnies عام ١٩١٢ بين اصطلاحى (الجماعة) و(الجمعية). فالجماعة بنية اجتماعية عضوية تنمو نمواً طبيعياً ولايجمعها غرض سياسى أو نفعى محدد، بل يربط بين أفرادها فى شكل رباط وثيق، اللغة والتقاليد والعادات ووحدة القيم الاجتماعية التى يتبنونها. وتستمد الجماعة قوتها من التراث الذى تستقبله عن غير وعى وتحرص على المحافظة عليه. وحيث إن هذا التراث يتصف بالدوام والاستمرار، فإن هذا يعنى ضرورة الاهتمام بالجانب التاريخى الذى يسهم فى توضيح الظروف الاجتماعية التى تعيش فيها الجماعة الشعبية.

وتأخذ الجماعة الشعبية فى النمو من أسفل إلى أعلى فهى تبدأ من الأسرة والبيت فالجيران حتى تشمل المجتمع كله الذى يعيش فى بيئة طبيعية بعينها وفى ظل ظروف حضارية خاصة. ومن ثم فإن أصحاب هذا المنهج لا يبدؤون بالنظريات، بل بالعمل الميدانى، حيث يبدأ الباحث فى دراسة الملامح الأساسية للبنية التركيبية للمجتمع. وقد ركز هؤلاء دراستهم فى الحقيقة حول القرية ومجتمع الفلاحين، حيث إن هؤلاء الفلاحين يمثلون مفهوم الجماعة وفقاً لما اصطلح عليه أصحاب هذا المنهج.

ولما كان أصحاب هذا المنهج ينتمون إلى الدارسين الفولكلوريون لا الدارسين الاجتماعيين، فقد وضعوا نصب أعينهم مهمة البحث عن حاملي التراث الشعبي الشفاهى، وعن التراث الشعبى نفسه، وذلك فى ضوء الظواهر الاجتماعية التى يرصدونها، فحملة التراث يعبرون، كما أدركوا ذلك بحق، عن وجود الجماعة الخفى والظاهرى. أما التعبير الظاهرى فيتمثل فى رواية التراث الذى يربط ماضى الجماعة بحاضرها ومستقبلها. وأما التعبير الخفى فيتمثل فى تأكيد هؤلاء الرواة لوجود الجماعة لأنها هى التى تعبر من خلالها عن كيانها الاجتماعى المتماسك.

ولم يقف أصحاب هذا المنهج عند هذا الحد من البحث، بل حاولوا الاستفادة، فضلا عن ذلك، من أصحاب المنهج الوظيفى الذى شاع فى فنلندا آنذاك وكان يتساءل عن وظيفة أى شكل من أشكال التراث الشعبى فى حياة الناس. فاستخدموا لذلك منهج المراقبة، أى مراقبة عملية رواية التراث فى ظل الظروف الاجتماعية التى يدرسونها. ومن الأبحاث التى تمت فى هذا المجال، البحث الذى نشره «برنجمير» عام ١٩٣١ تحت عنوان «الجماعة والأغنية الشعبية»، وكذلك بحث «برنكمان» حول «الحكاية ومجتمع القرية»، وغير ذلك من الأبحاث التى نشرت حول الأزياء الشعبية والأمثلة الشعبية.

هذه هى أهم المناهج التى تسيطر على الدراسات الشعبية فى ألمانيا، وما تزال تسيطر عليها. والشئ الجدير بالذكر، أنه على الرغم من استخدام الباحثين لهذه المناهج منفصلة، فإنهم قد أدركوا أنه أصبح من الضرورى الاستعانة بها جميعاً، إذا شاء الدارس أن يحقق نتائج علمية مهمة فى دراسة أحوال الشعوب المعاصرة. فالبحث وفق المنهج الجغرافى على سبيل المثال، محتاج إلى جانب توزيعه الظاهرة الفولكلورية جغرافياً، إلى أن يدرس هذه الظاهرة. كما أنه فى أشد الحاجة لتمثل الخلفية الاجتماعية لحياة الشعب الذى تعيش بينه تلك الظاهرة. وهكذا يبدو مدى التحام هذه المناهج وإن بدت أنها مستقلة عن بعضها البعض.

ولا نود أن نختم هذا الفصل عن الدراسات الشعبية فى ألمانيا قبل أن نشير إلى أحدث مدارس هذه الدراسات التى يضطلع بها الأستاذ الدكتور «باوسنجر» رئيس قسم الدراسات الشعبية فى جامعة «توبنجن» بألمانيا الغربية.

وتقوم هذه المدرسة على دراسة حياة الشعب المعاصرة الواقعة تحت تأثير المدنية الحديثة وعصر التكنولوجيا. أى أنها لا تريد أن تقيد نفسها بالدراسات التقليدية التى ترمى إلى دراسة الجماعة الشعبية المرتبطة بالطبيعة والأرض، وبتراثها الشعبى الذى وصل إليها أبا عن جد، ولم تنغمس بعد فى حياة المدنية الصاخبة وتتأثر كل التأثر بعصر التكنولوجيا.

وقد لخصت هذه المدرسة حججها فى تدعيم هذا الاتجاه فيما يلى:

أولاً: ليس هناك علم من العلوم يهتم بوجوه النشاط المختلفة التى يعيشها المجتمع بأسره وياهتماماته الروحية المعاصرة وبالتغيرات الجوهرية التى اعترت المجتمع نتيجة الزحف المدنى من ناحية، ونتيجة الرقى العلمى والتكنولوجى الذى هز المجتمعات من جنورها من ناحية أخرى. وإذا كان علم الدراسات الشعبية مكلفا بدراسة الشعب أولاً وأخيراً، فعليه عبء القيام بهذه المهمة إلى جانب دراسته التقليدية.

ثانياً: إذا كان العلماء الفولكلوريون قد اصطالحوا على دراسة الشعب فى الزمان والمكان، وإذا كان الزمان والمكان متطورين، فلا ينبغى إذن أن نقصر دراستنا - على سبيل المثال - على الأشكال القصصية القديمة أو القديمة المتطورة مثل الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية، بل ينبغى علينا أن نبحث عن الأشكال القصصية الجديدة التى يحب الشعب اليوم أن يرويها ويستمتع إليها. ويدخل فى هذا ما يحب الشعب الاستماع إليه من الاذاعة المرئية وغير المرئية. كما ينبغى علينا ألا نقصر دراستنا على القرى التى ماتزال تعيش فى حيز مكائى محدود، ومايزال أفرادها متمسكين بالتقاليد والمعتقدات القديمة، بل ينبغى البحث عن مواطن الاستيطان الجديدة. وعلى هذا النحو لا ينبغى علينا أن نبحث عن العادات والتقاليد فى ثوبها القديم، بل نبحث عن شكلها الحديث الذى خلعه الشعب عليها لكى تأخذ شكلا حضاريا جذابا.

ومن ثم فقد أدخلت هذه المدرسة، أو بالأحرى قسم الدراسات الشعبية فى توبنجن، الذى يعد بحق رائد هذه المدرسة، ضمن موارد الدراسة فيه، موضوعات لم تدرس من قبل. ومثال ذلك «الكرنفالات»، والجمعيات والنوادر وجمعيات الشباب وأنواع الرياضات والتسلية والأسفار والأحوال السياحية والأفلام والاذاعة المرئية وطريقة الحديث اليومية، هذا إلى جانب بعض موضوعات الدراسات الشعبية التقليدية.

وأكثر من هذا فقد حرص هذا القسم على أن ينظم أرشيفا من الأخبار ذات الطابع الفولكلورى التى تحرص الصحف اليومية على نشرها بين الناس لعلها أنها تروقهم. وتعتمد هذه الأخبار على المبالغة والنزعة الأسطورية، ولكنها من وجهة نظر الناس ليست غريبة عن تلك النتائج التى يفاجئهم بها العلم والتكنولوجيا يوما بعد يوم.

الفصل الرابع

الدراسات الشعبية الأمريكية

obeikandi.com

نود في هذا الفصل أن نعرض صورة للدراسات الشعبية في أمريكا معتمدين على ماكتبه الباحث الفولكلورى السوفيتى ل. زيملجانوفا، في مجلة «الانثوجرافيا السوفيتية» سنة ١٩٦٢. وقد نشر بحثه مترجماً إلى اللغة الإنجليزية في مجلة «معهد الدراسات الشعبية» التى تصدر بأمريكا، رقم ٢٨.

ترجع أهمية هذا البحث، فضلا عن العرض التاريخى، إلى نقد مدارس الدراسات القديمة ومناهجها في الولايات المتحدة، وعرض ما يسمى بالاتجاه التقدمى فى دراسة التراث الشعبى وجمعه فى الولايات المتحدة. وقد يبدو للقارئ لأول وهلة أن الباحث السوفيتى متحامل على اتجاهات بحث التراث الشعبى وجمعه فى الولايات المتحدة، ولكن من يقرأ المقال حتى نهايته يتبين الموضوعية فى البحث. ودليل هذا أن الباحث وقف إلى جانب الاتجاه الجديد فى الدراسات الشعبية فى الولايات المتحدة، وأبرز ما يحتوى عليه من مزايا، فى مقابل المتناقضات التى تتكشف له فى المناهج القديمة أو الرجعية على حد تعبيره. وعلى كل فالأمر متروك للقارئ لكى يبدى رأيه فيما يقدمه الكاتب السوفيتى من آراء جيدة جديرة بالتأمل قبل أن يصدر الحكم السريع عليها.

فى غضون سنوات الحرب الباردة فى الولايات المتحدة الأمريكية نشطت القوى الرجعية الماكارتية فى محاولة استخدام الفولكلور الأمريكى الذى كان يقوم بتحرير مجلة الفولكلور سلاحاً طبعاً لأغراضها. فقد كتب نورسون الباحث الفولكلورى الأمريكى الذى كان يقوم بتحرير مجلة الفولكلور الأمريكية يقول:

«إن أمريكا البلد الغنى، لابد أن يمتلك ثروة من فولكلوره الخاص به. ففى هذا العصر الذى تسيطر فيه أمريكا على العالم، يتحتم على الأمريكين بكل فخر أن يكتشفوا تراثهم الفولكلورى... لماذا يكلف الشباب الأمريكى بأن يقرأ على الدوام عن آلهة بلاد الشمال؟ وأن يقرأ أساطير الأغريق والرومان؟ حقاً إنه ينبغى على كل أمة متقدمة أن تقدم لأطفالها فولكلورها الذى يحكى عن أساطيرها وأبطالها. ويسعدنى أن الباحثين الأمريكين قد أخذوا على عاتقهم تحقيق هذا المطلب (نورسون: الفولكلور الأمريكى، شيكاغو ١٩٥٩ ص ٤١٣). وهنا نلاحظ أن نورسون ينجرّف مع التيار البراجماتى ويحاول أن يتخذ من الفولكلور سلاحاً لتأكيد زعامة بلاده سياسياً واقتصادياً.

ومن ناحية أخرى، تزايدت الرغبة في دراسة الفولكلور في أمريكا تزايداً كبيراً خلال العشر سنوات الأخيرة، بدافع صراع الطبقات العريضة في المجتمع من أجل توطيد السلام والديمقراطية. فقد اتجه الكتاب التقدمون بصفة عامة إلى منابع تراث الحضارة الأمريكية الوطني بصفة عامة، وإلى الفولكلور بصفة خاصة. فانتشرت في البلاد جماعة تغنى الأغاني الشعبية، كما ظهر كثير من المهويين نوى القدرة على إبداع الأغاني الشعبية وأدائها. ومع تزايد الرغبة في إحياء التراث الوطني، برزت القوى التقدمية في دراسة التراث الشعبي. ومن هنا نشأ الصراع بين الفولكلوريين التقدميين والفولكلوريين البرجوازيين الرجعيين، الذين انضموا شيئاً فشيئاً إلى زمرة الفلاسفة وعلماء الاجتماع ودارسي الأدب الرجعيين. وقد اتضح اتجاه هؤلاء الأخيرين بصفة خاصة في أعمال الفولكلوريين الذين اقتفوا في دراستهم أثر المنهج الفرويدي.

ولا يعد اتباع المنهج الفرويدي ظاهرة جديدة في أعمال الدارسين البرجوازيين في الولايات المتحدة، فقد انتشرت نظريات علم النفس التحليلي من قبل فيما بين عامي ١٩٢٠، ١٩٣٠ في الدراسات الفلسفية والاجتماعية والجمالية والفنية في أمريكا. وفي عام ١٩٥٠ عادت هذه النظرية إلى الظهور بشكل أقوى، وأصبحت وسيلة فلسفية تستخدم لتفسير المتناقضات الاجتماعية التي تعيش مع الواقع الرأسمالي، من خلال خصائص الفرد البيولوجية. وتؤكد مدرسة فرويد فيما هو معروف، أن النشاط الجنسي «الليبيدو» يقوم بالدور الحاسم في الحياة الإنسانية. ومن ثم فإن كل ظواهر الوعي الاجتماعي بما في ذلك الفن، تعزوها مدرسة فرويد إلى تسامي الليبيدو. وعندما طبق الفولكلوريون هذا المنهج في دراساتهم، قادهم هذا إلى نتائج غاية في السخف والغرابة. فسواء كانت المادة الشعبية حكاية شعبية روسية أو أسطورة أفريقية أو لغزاً هندياً قديماً، فإن هؤلاء الباحثين حاولوا أن يتلمسوا فيها أثراً لتسامي الليبيدو. وفي كثير من الأحيان تبدو النظرية الفرويدية في أعمال الفولكلوريين الأمريكيين مختلطة بالنظرية اليونجية على الرغم من اختلاف النظريتين في أساسهما؛ إذ بينما تصور فرويد أن اللاشعور يعيش حالة كبت نتيجة وجود المحرمات الاجتماعية التي لا تسمح بالدوافع الجنسية لأن تعمل في حرية، رأي يونج في اللاشعور منبثقاً للنشاط الخلاق عند الفرد، ومن ثم فقد فضل أن يتحدث عن تخلف اللاشعور، بدلا من الحديث

عن كفته. وقد مهدت نظرية يونج الطريق لكثير من علماء علم النفس التحليلي في العصر الحديث لأن يؤكدوا وجود نوع من اللاشعور الجمعي الذي تعبر الجماعة عنه برموز وأساطير تنبع من الأنماط الأصلية المستقرة في اللاشعور. وكما تعيش هذه لأنماط الأصلية في اللاشعور الجمعي، تعيش كذلك في لاشعور الفرد، وتعد أساساً لخلق الفن، بل سلوكه العام في الحياة.

وإذا كان هناك من الباحثين الأمريكيين في مجال الدراسات الفولكلورية من فضل منهج يونج على منهج فرويد، معلمين هذا التفضيل بأن أصحاب منهج فرويد باتجاههم البيولوجي يدفعون الضريبة للمادية، في حين ربط أصحاب مدرسة يونج الفن بالواقع الموضوعي ربطاً تاماً، فضلاً عن نظرتهم إلى اللاشعور نظرة صحيحة سليمة، لا نظرة مرضية كما فعل فرويد- فإن من الباحثين الفولكلوريين الأمريكيين من مزج بين منهج فرويد ومنهج يونج. ويعد كتاب «جوزيف تشامبل» «البطل نو الألف وجه» نموذجاً لتطبيق المذهب اليونجى الفرويدى فى دراسة الفولكلور. فعالم الأساطير والحكايات الشعبية يبني لتشامبل إسقاطاً هائلاً مهوشاً للاشعور الجمعي الذي تختلط فيه الأحلام بالهلوسة بالمشكلات الجنسية. ومن ثم فإنه يمكننا بناء على وجهة نظر تشامبل أن نختزل فولكلور العالم المتنوع إلى مجموعة من الأساطير الشعبية والأساطير الفردية، فكل أسطورة تعد تشخيصاً للحلم، كما أن الحلم يعد أسطورة شخصية. وأكثر الأنماط النموذجية انتشاراً فى الأدب الشعبى هى التى تجسد البطل وهو يخرج من بيته، ويقوم بالمغامرات العجيبة فى البلاد الغريبة حيث يقابل العقبات الشاقة التى يجتازها ويعود بعدها مرة أخرى إلى بيته وأهله.

ومن بين الدارسين الفولكلوريين فى أمريكا، الذين اهتموا فى أبحاثهم بتطبيق المنهج النفسى فى دراسة الأدب «ورثى أجان». ومن أهم أبحاثه فى هذا المجال بحث تحت عنوان «الاستخدام الشخصى للأسطورة فى الأحلام»، وبحث آخر تحت عنوان «العلاقة بين الفرد وتراثه الشعبى». ويؤكد «أجان» فى البحث الأول العلاقة الوثيقة بين الأحلام والأساطير؛ فالأسطورة تعيش على الدوام فى اللاشعور الجمعي، فإذا طفرت على السطح فى شكل الأحلام، فإنها تتعرض لتغيرات محددة وفقاً لخصائص الشخص وغمائزه، وبصفة خاصة الغريزة الجنسية. كما أن الفرد يختبر فى الحلم كنه غرائزه اللاشعورية المكبوتة. فإذا كان خيال النائم عاجزاً عن تشكيل الحلم، فإن الأسطورة التى تعيش دفينته فى لاشعوره، تصعد

إلى السطح لتكون في عونه، أما بحث «أجان» الثاني فيشرح فيه علاقة الفرد بتراثه الأدبي الشعبي، حيث إن هذه العلاقة تكون مشكلة من أهم مشكلات الفولكلور المتمعة التي لم تحظ بنصيب وافر من الدراسة.

وقد كان نتيجة اهتمام الفولكلوريين الأمريكيين بتطبيق منهجى فرويد ويونج النفسيين، أن عزل الفولكلور الأمريكى عن واقعه الطبيعى الذى ينمو وينتشر فيه. هذا فضلا عن أنهم لم ينظروا إلى الأعمال الأدبية بوصفها أعمالا فنية، بل بوصفها نماذج يستعان بها فى شرح الظواهر المرضية فى علم النفس. وكان نتيجة هذا أن أهمل بحث العلاقة بين الخلق الشعبى الجماعى والموهبة الفردية إهمالا كليا. ولا تدرس هذه المشكلة إلا فى ضوء دراسة أحوال الجماعة تاريخيا، ودراسة الأعمال الفولكلورية التى تعيش معها. وبتعبير آخر، إن توضيح هذه المشكلة لا يتحقق إلا عن طريق دراسة الموهبة الفردية الشعبية وعلاقتها بالبيئة التاريخية والجغرافية والاجتماعية التى تعيش فيها.

ويعد كثير من الفولكلوريين الأمريكيين أنفسهم اتباعا للمدرسة الأنثروبولوجية التى أسسها فريزر ولانج تايلور، هؤلاء الذين خصصوا أعمالهم المستفيضة لدراسة الميثولوجيا والطقوس البدائية. ولسنا نبالغ إذا قلنا إن العدد الأكبر من الكتب ومن المقالات التى تنشر فى مجلة «الفولكلور الأمريكى» يدور حول وصف الطقوس والميثولوجيا والخرافات عند قبائل أفريقيا وهنود أمريكا، وفى البقاع الريفية فى الولايات المتحدة وأوربا. على إننا إذا وازنا بين ممثلى المنهج الأنثروبولوجى المعاصرين، وبين مؤسسى هذا العلم، فإننا نجد الفرق بينهما واضحا. فأهم ما يميز أبحاث فريزر وتايلور هو محاولة تفهم المادة الميثولوجية تفهماً موضوعياً فى إطارها التاريخى المحدود. وقد نجح فى بعض الأحيان فى الكشف عن الجذور الاجتماعية الحقيقية لبعض الظواهر الفولكلورية، وإن أخفقا فى تقديم تفسير علمى لمادة تاريخ الحضارة العالمية، الغنية كل الغنى، ولادة الفولكلور والميثولوجيا التى جمعها. أما ممثلو المدرسة الأنثروبولوجية المحدثون فينزعون إلى الأفكار المثالية الذاتية، وكثير منهم وقع تحت تأثير نظريات يونج. وقد فصل هؤلاء الفولكلور عن العوامل التاريخية التى تسببت فى نشأته، وعالجوه على أساس أنه منبع للخرافات الحية والطقوس السحرية، رابطين بينه وبين الرغبات الجنسية أو المعتقدات الدينية. وهنا نلاحظ مرة أخرى تأثير مدرسة علم النفس التحليلى فى

الدراسات الفولكلورية، فالمنهج الأنثروبولوجى من وجهة نظر الأنثروبولوجيين المحدثين يعين على فهم أجناس الفولكلور والأساطير، ولكنه لا يستغنى عن علم النفس التحليلى للكشف عن محتواها.

ويتمتع منهج المدرسة الفنلندية أو كما سُمى المنهج الجغرافى التاريخى بمكانة بارزة بين المناهج التى اتبعتها الفولكلوريون البرجوازيون فى الولايات المتحدة فى دراساتهم. ويتزعم هذا المنهج فى أمريكا «سيث طومسون» صاحب كتاب «فهرست الحكايات الشعبية» الذى يقع فى عدة أجزاء. وقد نشر طومسون أخيراً بالاشتراك مع «يونايس باليس» كتاباً تحت عنوان «الحكايات المروية فى الهند». وهو تصنيف لموتيفات الحكايات الشعبية فى الهند. ولم ينظر طومسون إلى الفولكلور على أنه بقايا طقوس قديمة كما فعل أصحاب المدرسة الأنثروبولوجية، ولكنه يتفق معهم فى أنه سلب الفولكلور خصائصه بوصفه فناً. فعالم الفولكلور وفقاً لآراء طومسون ليس سوى مجموعة مختلطة من الموتيفات المجردة التى انتقلت من بلد لآخر. ومن ثم من واجب الفولكلوريين، وفقاً لرأيه، تنظيم هذه الموتيفات فى شكل فهارس وخرائط تصور هجرتها واختلاطها ومدى ما تعكسه من تبادل ثقافى بين الشعوب المختلفة. ومعنى هذا أن أصحاب المنهج الجغرافى التاريخى يتفقون مع أصحاب المنهج الفرويدى اليونجى فى أن كليهما يبحث عن النماذج الأصلية فى الأدب الشعبى. وبينما يبحث عنها أصحاب المنهج النفسى فى عالم اللاشعور، يقتفى أصحاب المنهج الجغرافى التاريخى أثرها فى مساحة شاسعة من كوكبنا الأرضى.

ولما تطورت مناهج دراسة التراث الشعبى فى أوروبا، نبذ الفولكلوريون الأمريكيون المعاصرون المنهج التاريخى الجغرافى ومنهج التحليل النفسى، وناووا بدراسات حية ترتكز على أصل الفولكلور وتطوره. ولكن هؤلاء بكل أسف وقعوا تحت تأثير المذهب البراجماتى الذى يعارض الجدل الماركسى فى أساسه. فإذا كان الجدل الماركسى يبدأ من معرفة التداخل بين الحقيقة النسبية والحقيقة الكلية من ناحية، والموضوعية من ناحية أخرى، فإن البراجماتية حطمت هذا التدخل، ونادت بأن الموضوعية لا أساس لها. وبالتالي فقد أنكر الفولكلوريون البراجماتيون القوانين الموضوعية فى التطور التاريخى للفولكلور، واقتصروا على ربط

الفولكلور بحوادث تاريخية بذاتها وبأسماء وتواريخ معينة. ويمثل «ريتشارد دورسون» هذه البراجماتية التاريخية أصدق تمثيل.

ففى عام ١٩٥٩ نشر «دورسون» فى مجلة «الفولكلور الأمريكى» مقالا طويلا تحت عنوان «رأى فى دراسة الفولكلور الأمريكى». وقد قدم «دورسون» فى بداية المقال عرضاً موجزاً لمختلف المذاهب والنظريات التى اتبعها الدارسون الفولكلوريون فى دراسة التراث الشعبى الأمريكى. ثم عبر بعد ذلك عن رأيه وهو أن المذاهب المتبعة (الأنثروبولوجى والنفسى والجغرافى التاريخى) قد أهملت أهمية دراسة تاريخ الفولكلور الوطنى الأمريكى. ولهذا فقد دعا زملاءه إلى تضافر الجهود نحو البحث التاريخى فى دراسة أجناس الفولكلور وتطوره. وعندما حاول «دورسون» فى الجزء الثانى من المقال أن يقدم أسسه المقترحة، وأن يقوم بتطبيقها تطبيقاً عملياً، تبين أنه ابتعد عن المنهج التاريخى الموضوعى كل البعد حينما أغفل الدور القيادى للمجتمع وحضارته. فهو لم يربط الفولكلور بتاريخ الجماعة ولا بتاريخ حركتها التحررية وصراع الطبقات بوصفها عوامل ممثلة للقوى الرئيسية الفردية الدافعة إلى التطور التاريخى، بل اكتفى دورسون بربط الفولكلور بالحوادث التاريخية الفردية وبالأسماء، فطمس بذلك القوانين التاريخية الموضوعية الأصيلة التى تعمل على تطور الفولكلور. فلما دخل دورسون فى صميم البحث الفولكلورى، تحدث عن توغل موتيفات التراث الشعبى الأوروبى فى فولكلور الولايات المتحدة. وهذا معناه أنه مازال يدور فى فلك المنهج الجغرافى التاريخى، كما أن معناه نفى الطابع الطبقي فى الفولكلور الأمريكى؛ فحينما تحدث على سبيل المثال عن فولكلور الزنوج أرجعه فى أساسه إلى تسرب الفولكلور الأوروبى اليهم، كما أخذ يبرهن على أن الزنوج ليس لهم تراثهم الفولكلورى الخاص بهم. ولكى يرضى دورسون الأيديولوجية الوطنية، حث الدارسين على ألا يغفلوا الدافع الوطنى والديمقراطى فى دراستهم. وطبيعى أنه لا يعنى هنا وطنية الطبقات الشعبية بل يعنى تراث الديمقراطية البرجوازية الذى ينور حول الأبطال الرسميين مثل هنزى فورد.

ولقد أسهب دورسون فى الحديث عن هذا المنهج التاريخى فى عدة أعمال له، من أهمها كتاب عن «التراث الشعبى الأمريكى». وعبثاً نحاول أن نجد فى هذا الكتاب دراسة عن تاريخ تطور الفولكلور الأمريكى فى ارتباطه العضوى بتاريخ الشعب الأمريكى. وعبثاً نجد كشفاً عن

آمال الطبقات العاملة وطموحها. بل اكتفى نورسون بانتقاء نماذج من فولكلور هذه الطبقة انتقاء ذاتياً صرفاً. حتى فولكلور الزنوج لم يدرسه نورسون دراسة تاريخية فولكلورية صادقة تصور صراع الزنوج ضد العبودية وصراعهم ضد التمييز العنصرى، واكتفى بأن قال إن الزنوج بعد محو أميتهم قد بدعوا يعبرون فى فولكلورهم عن شخصية جديدة متحررة.

وفى كتاب نورسون فصل آخر يتحدث فيه عن تماثل الأدب الشعبى الأمريكى. ثم أخذ يبرز وجوه هذا التماثل من خلال عرض نكات رجال الأعمال التى تكشف عن قيمهم وعرض حكايات الطلبة البذيئة، وحكايتهم التى تسخر من جوهم العلمى، وأغنيات الحب عندهم، وألعاب المخمورين وحكايات الجنود عن الجنس. ولكن أين الفولكلور الذى يكشف عن مزاج الجماعات العاملة ويرتبط بالصراع الاجتماعى السياسى فى الولايات المتحدة؟ لا شئ من هذا القبيل فى كتابه، لأن الفولكلور الأمريكى المعاصر متماثل من وجهة نظره. وهو يحقق وظيفة تسلية المواطنين الذين يعيشون فى حالة من الاكتفاء والدعة.

على أن هذا لم يحل نون تزايد أعداد الفولكلوريين التقدميين، وإلى هؤلاء تنتمى جماعة الدارسين الذين يعدون الفولكلور فناً حياً متطوراً للجماعات العاملة العريضة. وإليهم تنتمى جماعة من الفولكلوريين المتحمسين الذين جمعوا نخبة من المغنين الشعبيين الذين يقومون بإحياء الحفلات الشعبية وتقديم الأغانى الشعبية فى الجامعات والمقاهى، بل وعندما تقوم المظاهرات الشعبية ولهذا الغرض صدرت مجلة «Sing Out» التى أصبحت مركزاً منتظماً ومثالاً لتوجيه نشاط الفولكلوريين المتقدمين عن سبقهم من الرجعيين. ومن هؤلاء أروين زيلبر، وأسل أميز، وجوجرينواى، وبيترسيجير وألان داندس وغيرهم من طلائع الفولكلوريين الأمريكين.

ويؤكد هؤلاء الدارسون التقدميون أن طبيعة الطبقة الشعبية هى التى تضفى على الفولكلور طابعه الجماعى، وهى التى تكسبه خصائصه الفنية، وهذا هو سبب انتشار التراث الشعبى عن طريق الكلمة المروية، وذلك لما تحتوى عليه من أفكار قريبة كل القرب من نفوس الجماعات الشعبية، وكثيراً ما يدافع «أروين زيلبر» عن هذه الأفكار التقدمية فى مجلة «Sing Out» التى يقوم بنفسه على تحريرها. فالأغنية الشعبية تعد أكبر تعبير ديمقراطى وتقدمى فى

عصرها، وكذلك تتميز الأشكال الفولكلورية المعاصرة بواقعيّتها وبتأكيدّها للاتجاه الشعبي الديمقراطي.

ولأول مرة يقدم الفولكلوريون التقدميون في أمريكا تفسيراً لتطور أشكال الإبداع الشعبي وتغيرها. ولهذا يجدر بالدارسين الفولكلوريين أن يطلعوا على كتاب «أروين زيلبر» الذي يضم عشرة آلاف ومائة وعشرين أغنية تتسم بشعبيّتها وغناها الفني. وقد دون زيلبر اللحن إلى جانب النص، كما أنه علق تعليقاً منفصلاً على هذه الأغنيات؛ فلم يذكر زمان نشأة الأغنية ومكانها ومدونها فحسب، بل اجتهد فضلاً عن ذلك في البحث عن أصل الأغنية والزمن الذي كانت تؤدي فيه وظيفة أساسية في حياة الناس، وبذلك استطاع زيلبر عن طريق التحليل التاريخي لهذه الأغنيات أن يقدم صورة حية لفترة معقدة متناقضة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية. فقد صور دور الفولكلور في الصراع السياسي، وكشف عما في هذه الأغنيات من مغزى بوصفها فناً انطبعت فيه أفكار طبقة عريضة من الشعب ومشاعرها ومعتقداتها وآمالها. كما استطاع زيلبر عن طريق دراسة الأغاني التي نشأت في طبقات اجتماعية مختلفة أن يكشف عن التباين الطبقي كما يتضح من فولكلور الحرب الأهلية. فعلى الرغم من أن كثيراً من الأغاني يعكس الأفكار الأيديولوجية التقدمية، فإن هناك من الأغاني ما يعبر عن البيدولوجية المحافظة لأهل الجنوب. ويشير زيلبر إلى أن هذه الأغاني زيفت واستخدمت وسيلة للدعاية ضد النضال الديمقراطي.

وينظر الفولكلوريون الأمريكيون التقدميون إلى الفولكلور المعاصر من خلال عملية تطوره، فالنص الأدبي الشعبي الذي يروى شفاهاً يصقل عن طريق عملية الانتقال، ويكتسب محتوى جديداً ينبع من الظروف التاريخية التي يعيشها شعب ما. وعندئذ ينشأ إبداعاً جديداً من التراث الشعبي القديم. وهذا جلي وواضح في محتوى مجلة Sing Out. إذ يخصص فيها فصل لدراسة عملية تطوير الفولكلور، ونشر الأغاني الشعبية. وهذه الأغاني إما تعد رواية متطورة لأغاني قديمة، أو تعد مزجاً بين نص جديد مع لحن أغنية شعبية قديمة. وأغلب هذه الأغاني يرد على تساؤلات شعبية تتعلق بمشكلات البلد السياسية والاجتماعية.

ويعارض الفولكلوريون التقدميون في جرأة الفولكلوريين الرجعيين في مشكلة الجهل بمؤلف التراث الشعبي. فالفولكلور من وجهة نظرهم لا ينبغي أن يتقيد بالتعريف القديم الذي

خضع لمعيارين هما الرواية الشفاهية والجهل بالمؤلف. هذان المعياران اللذان كانا يميزان فولكلور العصر الفانت والذى اختفى كثير منه فى ظل ظروف القرن العشرين.

وبهذا الصدد يقول «زيملجانوفا» إذا كان لى أن أبدى رأياً فى هذه القضية فإنى أضمر رأى إلى رأى هؤلاء التقدميين فى ضرورة البحث عن تعريف جديد للفولكلور لا يخضع بالضرورة للمعايير التى اصطلح عليها الفولكلوريون من زمن. إذ ينبغى علينا ان نعترف بالنصوص الفولكلورية المكتوبة التى يعرف مؤلفوها نتيجة ذلك». أما المعيار الذى يتحتم على الفولكلور الحديث أن يشارك فيه الفولكلور القديم فهو الطابع الجماعى. ولهذا فقد أخذت مجلة Sing Out على عاتقها أن تنشر الفولكلور القديم والحديث معاً وفقاً للمفهوم الذى اصطلح عليه هؤلاء الفولكلوريون. فقد نشر فيها على سبيل المثال مقالا لعامل من أعمال منجم كينتوكى، اشتهر بأنه مؤلف للأغنيات الشعبية ومؤد لها. كما نشر زيلبر مقالا عن «جوى جارامان» الذى يقوم بتأليف الأغنيات الشعبية ذات الطابع الجمعى وقال عنه: «إن هذا المؤلف يعد حقاً ظاهرة بارزة فى عالمنا الملى بالشكوك. ففى قلبه شئ دفين يتجاوب مع الأحداث التى يعيشها الناس، ويحذر زيلبر من الخلط بين هؤلاء المغنيين الشعبيين وبين الشباب البوهيمى الذى يدعى أنه من الفولكلوريين هواة الأغانى الشعبية، وهو فى الواقع بعيد كل البعد عن مشاعر الناس. إن الربط الوثيق بين هؤلاء المغنيين الشعبيين الحقيقيين والقوى التقدمية التى تسهم بنصيب فى الصراع الإجتماعى السياسى فى الولايات المتحدة، وإن الاهتمام بالخلق الشعبى المرتبط بحركات الشعوب التحررية فى العالم هما العاملان الأساسيان اللذان يميزان الفولكلوريين التقدميين عن الفولكلوريين الرجعيين كل التمييز. وقد فتحت مجلة Sing Out ذراعيها لاستقبال مادة التراث الشعبى من جميع أنحاء البلاد. تلك المادة التى تعكس نضال العاملين ضد الظلم الاجتماعى والرجعية السياسية. وهى تهتم بصفة خاصة بفولكلور الطبقة العاملة الأمريكية الذى أهمله الدارسون البرجوازيون أو عرضوه عرضاً مشوهاً فى أعمالهم.

ونود أن ننوه فى هذا الصدد بكتاب «جون جرينواى»: «الأغنيات الشعبية الأمريكية الثائرة» الذى عرض فيه أغنيات عمال النسيج وعمال المناجم والأغنيات التى تنشأ مع المظاهرات، تلك الأغنيات التى تسجل لحظات حاسمة فى تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية. وقد كشف «جرينواى» فى كتابه هذا عن العلاقة بين فولكلور العمال ونضال البروليتاريا فى

أمريكا، ومن خلال هذا الكشف برز نور الأغنيات المهمة فى الحياة الاجتماعية والسياسية فى الولايات المتحدة. فإذا كان الفولكلوريون البرجوازيون الأمريكيون يعدون الأغنيات الشعبية المعاصرة فولكلوراً ينشأ عرضاً ولا يحتوى على عناصر فنية، ومن ثم فهو ليس جديراً بأن يكون جزءاً من تراث الفولكلور، فإن الفولكلوريين التقدميين يؤكدون أهمية فولكلور الطبقة العاملة بوصفه جزءاً مهماً من الخلق الشعبى المعاصر ومن تراث الأمة الحضارى، لاغنى عنه. أن الاهتمام بفولكلور الطبقات العاملة اهتماماً تاريخياً، والعمل على نشر الأغنيات النائرة التى يهملها الدارسون البرجوازيون عن عمد، بدأ يقوى الروابط بين حامل التراث من ناحية ومؤلفى الفن الفولكلورى من ناحية أخرى، الأمر الذى دفع الفولكلوريين التقدميين لأن يعيشوا صراعاً لا مهادنة فيه مع القوى الرجعية.

وتتنوع صور هذا الصراع كما أنها تتسم بالمرونة التى كان لها أثر كبير فى فاعلية هذا النضال. وقد جذب هذا الصراع إليهم كثيراً من الهاوين أو الدارسين. وفضلاً عن هذا كله فقد قوى الربط بين الفولكلوريين والجماعات الشعبية.

إن الفولكلوريين التقدميين المعاصرين فى الولايات المتحدة يشقون طريقهم فى ظروف شاقة. فليس من السهل عليهم أن يتغلبوا على الدارسين البرجوازيين وأيديولوجيتهم، وعلى العقبات التى يضعها هؤلاء المحتكرون فى طريقهم. ومع ذلك فإن الذين يقفون إلى جانب هؤلاء الدارسين التقدميين ليسوا بقلّة. وهؤلاء هم جمهور الشعب والأفراد الذين يسهمون فى تأليف الفولكلور وأدائه، وهذا هو أكبر ضمان لنجاح تطور هذه الجماعة وتأكيد وجودها.